

برنامج عبد المحسن القطن لدراسة المشروع الصهيوني



المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات  
The Palestinian Center For Policy Research and Strategic Studies - MASARAT

# التدوين في مناهج وكتب التعليم في إسرائيل

جونى منصور



برنامج عبد المحسن القطان لدراسة المشروع الصهيوني



المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات  
The Palestinian Center For Policy Research and Strategic Studies - MASARAT

# التدين في مناهج وكتب التعليم في إسرائيل

جوني منصور

2018

برنامج عبد المحسن القطان لدراسة المشروع الصهيوني

التدوين في مناهج وكتب التعليم في إسرائيل

الطبعة الأولى: تشرين الأول 2018

جميع الحقوق محفوظة

ISBN: 978-9950-400-16-0



المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية (مسارات)

المقر الرئيسي: مقابل بلدية البيرة، عمارة كراكرة، ط 2

هاتف: +970 2 297 3816

مكتب غزة: الميناء، مقابل فندق غزة الدولي، عمارة أبو العوف، الطابق الأرضي

هاتف: +970 8 288 0020

بريد إلكتروني: masarat.ps@gmail.com

الصفحة الإلكترونية: www.masarat.ps

مركز مسارات Masarat Center 

تصميم وطباعة: مطبعة ثيرد دايمشن 02-2413903/4

ما يرد في هذا الإصدار من آراء ومواقف يعبر عن وجهة نظر المؤلف، ولا يعكس بالضرورة موقف مركز مسارات

## المحتويات

5	توطئة.....
7	مقدمة.....
13	مفهوم «التدين».....
17	بين التدين والعلمانية في جهاز التعليم.....
21	دولة إسرائيل: إنتاج علمانية متجددة ومتدينين جدد.....
25	جهاز التعليم في إسرائيل.....
27	التعليم الديني وتعزيز التدين.....
31	الكتب التعليمية أداة سيطرة وهيمنة وفرض أيديولوجيا.....
35	واقع التعليم وتحولاته في العقدين الأخيرين.....
39	نصوص ذات توجهات دينية صرفة.....
45	جمعيات في خدمة التدين في المدارس الرسمية (العلمانية).....
49	موقف المجتمع في إسرائيل وردود فعله.....
53	موقف وزارة التربية والتعليم في إسرائيل.....
57	«التدين» في برامج ومشاريع التعليم.....
61	العلمانيون في مواجهة التدين.....
65	نماذج من التدين في كتب التعليم والأنشطة المرفقة.....
75	خلاصة وتوصيات.....



## توطئة

يصدر المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية (مسارات)، هذا الكتاب، ضمن برنامج عبد المحسن القطان لدراسة المشروع الصهيوني، الذي أطلقه المركز لدراسة وفهم المشروع الصهيوني، وطبيعة الدولة والمجتمع الإسرائيليين، وصيرورة تطورهما بصورة نقدية. ويهدف البرنامج إلى تحقيق فهم معمق لطبيعة وأهداف وديناميات سيطرة النظام الصهيوني الاستعماري الاستيطاني، وفهم التناقضات داخل المشروع على طريق امتلاك رؤية وطنية للمشروع التحرري الفلسطيني.

يعد برنامج دراسة المشروع الصهيوني الذي يشرف عليه فريق بحثي متخصص، مكملاً لبرامج «مسارات» كمركز أبحاث سياسات ودراسات إستراتيجية، إذ لا ينفصل عن البرامج الأخرى في المركز، كبرنامج الدراسات الفلسطينية، وبرنامج الدراسات العربية والدولية، بل مكمّل لها من حيث جوهره السياسيّ. وستشمل كافة الإصدارات بدائل سياسات فلسطينية لمواجهة السياسات الإسرائيلية ومنظومات السيطرة الاستعمارية بهدف تفكيكها وإحباطها.

وبالإضافة إلى هدفه العام، يسعى البرنامج أيضاً إلى توظيف طاقات الكفاءات الفلسطينية في الوطن والشتات للمساهمة في بناء رواية فلسطينية موحدة حول نشوء وتطور النظام الصهيوني الاستعماري الاستيطاني على أرض فلسطين، وتحديد سياسات مواجهة وتفكيك المشروع الصهيوني عبر تحويله إلى مشروع خاسر بالتركيز على نقاط ضعفه، والتناقضات في داخله، واستعادة إطار الصراع التحرري ضد النظام الاستعماري الاستيطاني، وتنمية وتطوير مهارات التفكير الإستراتيجي لدى الباحثين الشباب، ومنحهم الآليات اللازمة لفهم المشروع الصهيوني، والمجتمع الإسرائيلي عامة.

مركز مسارات



## مقدمة

يعتقد بعض المختصين في إسرائيل بمجال التربية والتعليم، أن جهاز التربية والتعليم يمر في تحولات عدة، في مقدمتها تفشي حالة من التدين، أو لنقل تظهر فيه مظاهر من التدين من خلال مناهج وكتب تعليمية في مواضيع شتى، وبخاصة الآداب والاجتماعيات، وكذلك ارتفاع نسبة الزيادة في تحويل ميزانيات كبيرة لمؤسسات تعليمية دينية، وأيضاً لنشاطات دينية في مؤسسات تعليم رسمية غير دينية قيمتها 210 ملايين شيكل في العام المالي 2016. كما إن المناهج والبرامج والكتب التعليمية، تتعرض لمزيد من تغلغل مكونات ومركبات ومواضيع دينية، حتى إن كتب تدريس المواد العلمية، تحتوي على مضامين دينية، أو تلميحات وإشارات ذات صبغة دينية. ولا يزال وزير التربية والتعليم الحالي نفتالي بينيت، كعدد من سابقه، وكبار موظفي وزارته، متمسكين بأن إسرائيل دولة يهودية وديمقراطية، وتغليب الجانب اليهودي من منطلق كونه متديناً أصلاً، ومن واجبه المحافظة على هذه التوليفة، بل يصرح ليل نهار أن تعليم اليهودية أهم بكثير من تعليم الرياضيات.

ونرى في الآونة الأخيرة نقاشاً وجدلاً عاماً في إسرائيل حول تعليم اليهودية في المدارس الرسمية، أي المدارس التي تشرف عليها وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية.<sup>1</sup> كثيرون من أولياء أمور الطلاب تحلقوا في دوائر منددة ومعتزدة على تغلغل مكونات دينية في كتب التدريس التي يتعلم بها أولادهم، في حين أن دوائر وحلقات دينية بأطيافها كافة تعتبر هذا الأمر نصراً لها، لأنها بهذا التغلغل تفرض أجندتها العقائدية الدينية والسياسية معاً

1 نوعمي دروم وأور كشتي، كيف تعود المدارس الرسمية إلى الدين؟، جريدة هآرتس، 2013/12/26. [goo.gl/8qUA5X](http://goo.gl/8qUA5X)



على أحياء اعتُبرت إلى فترة ما ضمن حدود العلمانية في إسرائيل.

النقاش أو الجدل الدائر في إسرائيل بهذا الخصوص، يتمحور حول مخاوف وشكوك قطاعات واسعة من العلمانيين من جرّ جهاز التربية والتعليم نحو التدين، وفرض أجنادات أيديولوجية بعيدة كل البعد عمّا يفكرون به، ويعيشون حوله. ومما لا شك فيه، أن التحولات داخل المجتمع الإسرائيلي باتجاه الانتشار الواسع للتيارات الدينية، لها كبير الأثر على العلمانيين. ومن جهة أخرى، سعى العلمانيون إلى الحفاظ على أن تكون إسرائيل علمانية الحياة، كما تأسست مع احترام أحياء جماعات دينية وغير دينية من منطلق كونها ديمقراطية، وأن يكون تعليم اليهودية في المدارس الرسمية على أساس كونه مادة ثقافية، وليست دينية. أما المادة الدينية الصرفة، فلتدرّس في التعليم الديني. مقابل هذا التوجه، يبرز توجه التيارات الدينية المنادية بتغليب التعليم الديني والتراثي المرفق على الجانب القائم.

أصبحت ظاهرة انتشار المضامين الدينية في مناهج وكتب التعليم، ودروس إلزامية في اليهودية، وجمعيات دينية تعمل داخل المدارس، بارزة ولافتة في الآونة الأخيرة (على الأقل في السنوات الخمس الأخيرة). وهذا بفعل تنوع التيارات الدينية الناشطة على الساحة في إسرائيل، وعلى وجه الخصوص، تفاقم قوة التيار الحريدي.

هنالك أمثلة ونماذج كثيرة للتدين في المؤسسات التعليمية الرسمية؛ مثل أناشيد دينية في مناسبات دينية، أو ذات صفة قريبة من الدينية؛ مثل «يوم أورشليم»، وذلك لتعميق الارتباط بهذه المدينة التي يشار إلى أنها عاصمة إسرائيل «الموحدة والأبدية»، وأيضاً نصوص ذات مضامين دينية في كتب التدريس مثل صلوات الاستسقاء في كتب تعليم الجغرافيا، وحظر ارتداء ملابس قصيرة في المدرسة، وأثناء الفعاليات فيها.

وأجريت استطلاعات رأي عدة في السنوات الأخيرة، كان آخرها ذاك الذي أشرفت عليه البروفيسورة حاجيت وولف من معهد جيوكارتوغرافيا للاستطلاعات في أيلول 2017، حيث بيّن أن 78% من المستطلعين يميلون إلى تعليم أبنائهم مكونات عن اليهودية، وألا يفتحهم المدارس مندوبون عن جمعيات تسعى إلى تعليم اليهودية وفق أسس دينية وليست

## تراثية.<sup>1</sup>

الصراع قوي جداً بين التيار العلماني بغض النظر عن الانتماء السياسي لأعضائه، وبين التيار الديني الآخذ بالزيادة والانتشار في إسرائيل، وبخاصة أن قوته ونفوذه تبرزان في الحركة الاستيطانية في الضفة الغربية والقدس المحتلتين. فالعلمانية في الغرب انفصال عن الدين ومظهراته، في حين أن العلمانية في الحالة الإسرائيلية فيها مكونات شكلية ذات علاقة بالتراث الديني، وأن الدولة مؤسسة على قاعدة يهودية فيها موروث تاريخي يهودي متصل بالدين.<sup>2</sup> بمعنى آخر، فإن العلماني الأوروبي هو الذي أعلن انفصاله عن المؤسسة الدينية بكل مركباتها وتداعياتها من عادات وتقاليد، في حين أن العلمانية في إسرائيل هي ليست بهذه الصورة، إنما التركيز على المكونات اليهودية المظهرية وبعض الجوهرية التي تعزز الانتماء إلى اليهودية كقومية.

خرجت القضية إلى الحيز النقاشي العام في إسرائيل في أعقاب تمرير استطلاع رأي في إحدى مدارس منطقة تل أبيب في نهاية 2016، بهدف فحص مدى معرفة الطلاب في المدرسة بمواضيع يهودية. وأجرت الاستطلاع جمعية دينية يهودية باسم «تالي» (تعزيز تعليم اليهودية).

وتعتقد شرائح في المجتمع اليهودي، وبخاصة من أوساط العلمانيين، أن اليهودية هي ميدان صراع ونزاع بين تيارات مختلفة. وتبين النصوص التوراتية والتفاسير اللاحقة خلافات بين وجهات نظر حول مواضيع معينة. وليس غريباً أن تعمق النقاش حول المواضيع ذاتها في أيامنا هذه، بين تيار علماني وآخر ديني في جهاز التربية والتعليم.

تتطرق هذه الورقة إلى هذه الظاهرة الآخذة بالانتشار والتوسع في المجتمع الإسرائيلي عموماً، وفي جهاز التربية والتعليم خصوصاً، وفي تخصيص الخصوصي فإننا سنتعمق في قراءة عدد من الكتب التعليمية المعتمدة والمقررة في المدارس الإسرائيلية الرسمية، وما تحتويها من توجهات ونصوص وإشارات ورموز دينية يهودية، وهو موضوعنا المركزي.

1 حول تفاصيل الاستطلاع، انظر: جريدة معاريف، 2017/9/18، goo.gl/NJgo4w

2 لتفاصيل وافية حول هذه المقارنة، انظر: حزكي شوهام، دين، علمانية، موروث؛ في الفكر اليهودي العام، مجلة عيونيم بتكومات إسرائيل (مراجعات في يقظة إسرائيل)، مجلد 24، 2014، 58-24.

لكن، لا يمكننا الوصول إلى فهم الظاهرة في المناهج والكتب التعليمية إلا بعد عرض للظاهرة في مجمل المؤسسة التعليمية؛ أي جهاز التربية والتعليم في إسرائيل. عرض كهذا سيتيح للقارئ والمهتم بالشأن الإسرائيلي إدراك التحولات الحاصلة، ليس فقط في جهاز التعليم أو المناهج والكتب التعليمية، إنما ما يمرُّ به المجتمع في إسرائيل في العقدين الأخيرين، بأقل تعديل من تغيرات وميول نحو عنصرية ورفض قبول أي رأي مخالف، وفرض طروحات سياسية ودينية. الطروحات الدينية ناتجة عن تفاقم قوة وحضور الأحزاب والحركات الدينية الصهيونية واليهودية سواء في إسرائيل، أو في الأراضي الفلسطينية المحتلة، من خلال المشروع الاستيطاني. ويعتقد عدد كبير من سياسيي إسرائيل، أن اللجوء إلى الفكر الديني، أو النصوص الدينية، هو بمثابة خشبة خلاص لأفعال استيطانية قهرية ضد الفلسطينيين، وتعزيز ادّعاءاتهم بحق اليهود قبل الفلسطينيين في فلسطين بكونها الأرض الموعودة، وفقاً للنص الديني. وهذا ما يعزز التوافق بين المسارين الاستيطاني والتدين بتأثير الواحد على الآخر، بل تفاعله معه.

ومما لا شك فيه أن الأدوات الدينية المؤثرة على سير الحياة اليومي، تساهم، بقوة، في إزاحة شرائح واسعة من المجتمع وتحويلها إلى التدين. ولهذا، فإن إقحام وتغلغل مكونات ومركبات دينية في الكتب التعليمية، هو أداة ممتازة لتحقيق هذه الغاية، وإن احتاجت إلى مدة زمنية أطول، لكون تأثيرها تراكمياً وليس لأمد طويل. أضف إلى ذلك، أن الثقل السياسي للأحزاب الدينية، وكذا التيارات الدينية، أصبح لافتاً في المشهد السياسي العام، وتأثيره بارز في قطاعات وأحياز مختلفة.

من هنا، نلاحظ أن المناهج والكتب التعليمية تعمل على إغلاق دائرة السياسي مع الديني لتتعزيز ادّعاءات الإسرائيليين بحقهم في فلسطين، وأن حقهم هبة إلهية، وأن علاقتهم السياسية والدينية متلاصقة بقوة هذه الادّعاءات. وهذا التوجه هو في صلب الفكر الصهيوني، في تطوراتهِ عبر الزمن، لخلق واقع جديد يوجه قارب المشروع الصهيوني نحو تأسيس الدولة.

فالكتب التعليمية هي ترجمة لأفكار وطروحات وتوجيهات المناهج التعليمية. وبناء عليه، فإنها تحتوي على تطبيقات تتناسب والرؤى الفكرية من وراء المناهج ذاتها. كيف

تدمج الكتب التعليمية بين الديني والعقائدي والتعليمي بصورة تراكمية، تتكرر من سنة تعليمية إلى أخرى، لترسخ الفكرة بقوة في عقول ونفوس وسلوك التلاميذ، من حين انتسابهم إلى المدرسة إلى حين خروجهم من الخدمة العسكرية أو بدائلها. وفي هذا السياق، تشير الباحثة نوريت بيلد - الحنان إلى تعمق الإثنوقراطية وأشكال التدوين الصريح المباشر وغير المباشر في الكتب المدرسية.<sup>1</sup>

يحمل المشروع الصهيوني في مكوناته مبادئ دينية، ولكن تفسيرها واستخداماتها تم تحريرها من القيود الدينية التوراتية، لتصبح بمفهومها العلماني. فالقدس (أورشليم) التي فهمها هرتسل مغايرة عن تلك التي تدعو إليها النصوص التوراتية. لكنها هي ذاتها مادياً. وعلى الرغم من هذا البون في الفهم والإدراك والتطبيق، فإن الخلفية واحدة للمشروع الصهيوني وللتيارات الدينية في اليهودية.<sup>2</sup>

---

1 نوريت بيلد - الحنان، فلسطين في الكتب المدرسية في إسرائيل، ترجمة ياسين السيد، مدار - المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، 2012، 25 - 44.

2 آرييه سوزنيك، قدسية الصهيونية المعلمنة في تكوين عالم اليهودي الجديد، مجلة إسرائيل، مجلد 16، 2009، 165 - 195.



## مفهوم «التدين»

«التدين»، اصطلاحاً، هو عكس «العلمنة»<sup>1</sup> ويعني سيطرة وهيمنة اليهودية الدينية الأرثوذكسية على الحيز العام، من خلال تحطيم التوازن القائم بين اليهودية والديمقراطية، وفق ما ارتأه مؤسسو دولة إسرائيل في العام 1948.<sup>2</sup>

وتعتقد شرائح في أوساط مختلفة داخل إسرائيل أن «التدين» هو إلحاق ضربة موجعة في صميم حق حرية الإيمان؛ أي حق كل إنسان أن يكون علمانياً. وتعني العلمانية، في هذا السياق، حرية الدين والعبادة. بمعنى أن يكون الحيز العام خالياً من علامات تدين. أما حق المعرفة باليهودية، فهو جزء من التعليم دون التأثير الديني المقصود. وطبعاً، هذا يندرج في الدفع نحو الامتناع عن ممارسة أي شعائر دينية أو طقوس ذات صلة بها في الأحياء العامة.<sup>3</sup> والعلمانية، عملياً، دفعت إلى إعادة إنتاج من جديد لعملية تنظيم الحضور الديني في الحيز العام. وهذا ما يحدث في الحالة الإسرائيلية على الصعيدين الرسمي والعام.<sup>4</sup>

ويشهد ميدان التربية والتعليم تغلغل المرگب الديني في جهاز التعليم الرسمي من اتجاهات متعددة، وبتشجيع ورضا من وزارة التربية والتعليم ذاتها. هذه الوزارة واقعة

1 يوحى فيشر، المفاهيم العلمانية وعلمنة، في جوهرهما هما ضرورة الابتعاد عن الدين ومؤسساته وقيمه وعاداته، علمنة وعلمانية، معهد فان لير، القدس، 2015، 11. (بالعبرية).

2 يمكن التوسع في هذا التعريف من خلال الاستعانة بالمادة الواردة حوله على موقع الموسوعة الحرة - ويكيبيديا، 2017/12/20. goo.gl/vCcXvZ

3 متفق عليه أن هناك فرقاً بين تعليم ديني وتعليم عن الدين، وهذا وارد في كتب تعليمية في دول كثيرة في العالم. حول هذا الموضوع، يمكن مراجعة المقالة الآتية: (Religion in the Curriculum)، 2017/10/1. goo.gl/J4oDVG

4 يوحى فيشر، مصدر سابق، 25.

في السنوات الأخيرة تحت سيطرة تيارات دينية، من أبرزها التيار الديني الذي يرأسه وزير التعليم نفتالي بينيت وهو حزب «البيت اليهودي». ولا تقتصر السيطرة على الجهاز من الناحية الإدارية والتنظيمية، إنما من ناحية قومية عنصرية، وإبعاد أي طرح أو فكرة مختلفة عن تلك التي يحملها أتباع هذا الحزب ومن حواليه.

ويتم التعبير عن التدين في حالات مختلفة، منها ما هو ظاهري، ومنها ما هو خفي أو متستر خلف برامج تعليمية معينة.

فعلى سبيل المثال، تظهر تعبيرات لمفهوم التدين في اقتباسات نصية<sup>1</sup> من مصادر دينية في كتب الرياضيات والعلوم والجغرافيا. وأيضاً في برامج تربوية ولا منهجية، وصور تحتوي على مركبات دينية مثل شخص يؤدي صلاة، أو شخص يحمل كتاب التوراة، أو احتفالات بار ميتسفا (احتفالات البلوغ وفقاً لأسس ومفاهيم الديانة اليهودية) ... والقصد هنا هو استعمال وتبني مركبات دينية بصورة غير مباشرة، وفي مراحل تعليمية مختلفة، وبالتالي تغلغلها تدريجياً في معرفة الطالب وفهمه وإدراكه.

ومما لا شك فيه أن مفهوم التدين يترك أثره، أيضاً، على المعلم، وبخاصة أن أعداد المعلمين/ات غير العلمانيين (أي من هو متدين بمستوى حد أدنى محافظ على عادات وتقاليد، إلى مستوى مُتشدّد بالعادات والتقاليد والسبت والتفاسير...) آخذة بالزيادة في التعليم الرسمي العلماني، على خلفية عزوف الشباب العلماني عن هذه المهنة في العقدين الأخيرين.<sup>2</sup> وتمت ملاحظة تجاوب مديري مدارس عديدة مع انتشار هذه الظاهرة في مدارسهم لأسباب مختلفة، منها: عدم انتباههم إلى صيرورة التدين في مدارسهم، أو لعدم توفر نشاطات أخرى، فهذا يُعزّز دور المديرين اجتماعياً، ولأنّ كل النشاطات ذات صفة التدين ممولة ومدعومة مالياً من قبل جمعيات تحصل على ميزانيات لهذا الغرض من وزارة التربية والتعليم.

1 نورت بيلد - الحنان، مرجع سابق، 78، حيث تشير إلى كون الكتب متعددة الوسائط في رسائلها للمتلقى.

2 لا تتوفر لدى وزارة التربية في إسرائيل معطيات دقيقة عن معلمين متدينين يدرسون في مدارس رسمية (علمانية)، لكن يمكن ملاحظة ذلك من خلال قبعة الرأس، مثلاً، المنتشرة مؤخراً في أروقة المدارس، كما تفيد بعض الصحف والمصادر في إسرائيل. مثلاً: تمار هرمان (محررة)، علمنة وعلمانية: قنوات الاتصال لدى الوسط الديني- الوطني مع العلمانية، الفصل السابع، في: متدينون؟ وطنيون!؛ المعسكر الديني - الوطني في إسرائيل 2014، المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، القدس، 2014.

والسؤال هنا: هل يحصل تحول بطيء أم سريع في ميدان التربية والتعليم لصالح حالات أو مظاهر التدين؟

إن مفهوم التدين لم يعد مجرد كلمة في القاموس الإسرائيلي، إنما الملاحظ أن التعليم الرسمي يتحول إلى ديني بشكل بطيء، وقد يحتاج إلى مدة زمنية طويلة لبيسط هيمنته عليه. فالقيم التي يؤمن بها أهالي الطلاب في التعليم الرسمي العلماني، تتعارض مع ما يجري فيها واقعياً وفعلياً. وهنا يجب التوضيح أن هذا لا يعني الاحتجاج الصارخ على كل ما في جهاز التعليم، المسألة التي تعني العلمانيين هي تصفية (فترة) المكونات الدينية والغيبية عن النصوص التعليمية. وهذا بالتالي يبين أنهم يقبلون بنصوص تحوي قيماً ورسائل إنسانية واجتماعية غير ملتصقة بالروح والمضمون الديني المباشر.

وكان انزياح المجتمع في إسرائيل نحو مزيد من التدين هو ما ميّز السبعينيات وحتى التسعينيات من القرن الماضي، وبخاصة بعد الانقلاب في الحكم في 1977 الذي أودى بحزب العمل المهيم منذ 1948 على مفاتيح السياسة في إسرائيل. صعود الليكود للحكم في ذلك العام دمج بين السياسي/العلماني وبين السياسي/الديني بوضوح.<sup>1</sup> وتعمق الحضور الديني في الحيز العام، وبدأ حضوره بالانتشار في أطر مختلفة، منها التعليمي، في الألفية الثالثة، ومع ازدياد قوة التيارات الدينية الشريفة (السفارادية)،<sup>2</sup> حتى وصل هذا الحضور إلى الأطر السياسية العليا، وفي مقدمتها مجلس الوزراء، حيث تبلور سياسة إسرائيل وتتخذ القرارات، ما يعني وصول هذه الأحزاب والتيارات إلى موقع السلطة. بمعنى آخر، انقلاب الحكم المشار إليه أعلاه، عزز مركزية التربية ليس بهدف التعليم فقط، إنما بظهور إسقاطات التدين على نشاط الحركة الاستيطانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

ومما لا شك فيه أن جهاز التعليم في إسرائيل يمرّ في العقد الأخير بتسييس الدين. فالمناهج والبرامج والمشاريع التعليمية المصادق عليها، تمرّ في مرحلة تخفيف «الإسرائيلية» فيها على حساب تفضيل اليهودية. والمقصود بالإسرائيلية هو التوازن بين اليهودية

1 يهودا غودمان ويوسا يونا، العلاقة الصاعدة بين التدين والعلمانية في إسرائيل: شمل، إقصاء وتحويل، في: يوخي فيشر، علمنة وعلمانية، مصدر سابق، ص 208.

2 غودمان ويونا، مصدر سابق، 213-215.



والديمقراطية (اليهودية بشقيها العلماني والديني). فالعلماني هو في التعليم الرسمي، والديني في التعليم الرسمي الديني).

ويدّعي عدد من سياسيي إسرائيل<sup>1</sup> أمثال زهافا غلثون من حزب ميرتس، أنّ التعليم الرسمي في إسرائيل يمرّ في حالة تديّن مقصودة على حساب تعليم أسس الديمقراطية وحقوق الإنسان، والعلوم... لدرجة أنّ جمعيات من خارج الأطر المدرسية تخترق المدارس بموافقة الوزارة (أو دعوتها) لتقديم خدمات لتعميق اليهودية ومفاهيم الدين اليهودي. ومنهم من يدّعي أنّ أسس الانتماء إلى هوية إسرائيلية بدأت بالتراجع والضعف لصالح الهوية الدينية المتطرفة.<sup>2</sup>

---

1 سياسيون في أحزاب مختلفة في إسرائيل منهم زهافا غلثون من ميرتس، وبوغي هرتزوغ من العمل... للتوسع، انظر: شوكي فريدمان، جن الدين، موقع المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، 2016/6/13. [goo.gl/p2nEuX](http://goo.gl/p2nEuX)

2 لمواجهة ظاهرة انتشار التدين، بادر عدد من أعضاء الكنيست في إسرائيل إلى طرح مشروع قانون لإعادة تعريف التعليم الإلزامي وما يحتويه من أهداف ومضامين. وحتى ساعة كتابة هذه الورقة، لم يتم الكنيست بمناقشته. لمزيد من المعلومات حول مبنى المشروع، يمكن مراجعته على موقع الكنيست على هذا الرابط، 2017/12/20. [goo.gl/6aBwwB](http://goo.gl/6aBwwB)

## بين التدين والعلمانية في جهاز التعليم

«ليس لدينا أي شيء ضد الدين. نحن نؤمن أن لكل شخص حقاً في معتقداته، تماماً كما هو الحال بالنسبة للراغب في العيش علمانياً. وبكوننا هكذا، فإننا نرفض الإكراه في الدين الذي يظهر من اتجاهات مختلفة. إننا نرى في الميزانيات والتعليم بهذه الطريقة عملية غسل دماغ ديني في جهاز التربية والتعليم، بهدف خدمة أجندة وزير التربية نفتالي بينيت وحكومة اليمين، من خلال إظهار عربة العلمانية بأنها فارغة، والمضي قُدماً نحو تحويل الشعب إلى متدين وقومي متطرف جداً». هذا ما عبّرت عنه عريضة المنتدى العلماني بتاريخ 23 آب 2017.

لا شك أن هذه الفقرة من العريضة تُبيّن وجود استقطاب مجتمعي وعقائدي ونهج حياتي. ومقابل هذا الاستقطاب القائم في المجتمع الإسرائيلي بين العلمانيين والمتدينين، تنشط جمعيات (عددها قليل بالمناسبة) تعمل على خلق حالة توازن بين العلمانية والتدين، ومنها «يزما»، ومقرّها في مستوطنة موديعين في الضفة الغربية المحتلة. يقول أحد ناشطيها واسمه رودنر، إنّ هذه الجمعية مثال إيجابي جداً عن حالة التآزم التي يعيشها المجتمع الإسرائيلي والاستقطاب على وجه الخصوص المشار إليه أعلاه في طروحات المنتدى. فالجمعية تعمل على خلق جو تعليمي وتربوي مناسب للطالب اليهودي يتعرّف من خلاله على عالمين بواسطة أدوات تعليمية توازن بين التيار الأرثوذكسي والتيار الإصلاحية المنفتح. ويضيف رودنر أنّ عملية التربية المتوازنة هي الأفضل لضمان تعرّف كل طرف على الآخر.<sup>1</sup>

1 عران كمينسكي، تدين؟ ليس في مدرستنا»، 2016/12/19.

لكن هذا التوجه ليس سائداً في المجتمع الإسرائيلي، بمعنى أن تأثيره أخذ بالتضاؤل وريداً رويداً، لصالح المزيد من مظاهر ومضامين التدين في جهاز التربية والتعليم، وعلى وجه الخصوص في الكتب التعليمية والمدارس التي تُدرّس فيها هذه الكتب.

ولفهم هذه الجدلية النقاشية بين التيارات الدينية والعلمانية، علينا فهم خلفياتها القائمة عميقاً في الحضارة الأوروبية. ولا بُد لنا من الإشارة، هنا، إلى أن ظهور مفهوم العلمانية عالمياً كان في نهاية القرن الـ 19، ودخول الثقافة الغربية في مرحلة التنوير، عندها فقط بدأت بوادر التحولات تخترق المجتمع اليهودي في أوروبا أولاً. وتعرّضت شرائح واسعة من المجتمعات اليهودية أو الجاليات اليهودية في أوروبا لعاصفة التنوير.<sup>1</sup> وجرى نقاش حاد بين دُعاة التنوير والتوجهات العلمانية والمتمسكين بأهداب الشريعة اليهودية والحفاظ على التقاليد والأعراف التاريخية لليهودية. ولأول مرة حدث التغيير، بحيث تحرر العقل اليهودي من عقالات الشريعة وقيودها، لينطلق إلى تحكيم العقل المستقل بعيداً عن تلك القيود. فالفكر الذي تبلور لدى مفكري الغرب، أمثال كانط، وروسو، وميل، وغيرهم، عرض الدين كمؤسسة صلبة تفرض قيوداً خارجية على الإنسان، يتحول بواسطتها إلى ملتزم بقيودها وأوامرها وتعليماتها. وهذه غريبة عن طبيعته كإنسان مفكر ومنتج وصاحب قدرة في أن يتولّى بنفسه إدارة أموره ومستقبله. فكانط وضع فكرة التنوير،<sup>2</sup> ومن بعدها طرح شعار العالم العلماني والثقافة الغربية في أعقابه. وهذا ما يمكننا تلخيصه في أن العقل وفقاً لكانط هو الموجه والمدبر لطريق الإنسان وصولاً إلى حريته الطبيعية.

هذا الفكر، أو هذه الطروحات، هي التي استولت على شرائح محدودة في أوساط الجاليات اليهودية في أوروبا. فاليهود الذين كانوا على تماس يومي مباشر وغير مباشر بالمجتمعات الأوروبية التي شهدت تحولات جذرية في بناها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، تأثروا عميقاً منها وتفاعلوا معها،<sup>3</sup> بل كان لبعضهم دور ريادي في تطوير مفاهيم فلسفية ذات صلة بالعلمانية والعقل وحرية العقيدة وغير ذلك.<sup>4</sup> في حين أن

1 أمنون راز - كركوتسين، علمنة وتأرجح المسيحية تجاه اليهودية، في: يوخي فيشر، مصدر سابق، 109-112.

2 مقالة كانط حول تعريف التنوير (goo.gl/BwoSPZ)، وإن كانت قد كتبت في نهاية القرن الـ 18.

3 كركوتسين، مصدر سابق، 114 - 115.

4 نحيل القارئ إلى التعمق في تأثير التنوير على الجاليات اليهودية في أوروبا إلى بحث ماري شوماخر وهو حديث العهد:

السواد الأعظم من اليهود عاش في معازل فرضها على نفسه أو فُرِضت عليه في المدن الأوروبية، فكانوا منقطعين عن العالم ومحيطهم، غارقين في قيود الشريعة اليهودية التي تحكمت في سير حياتهم اليومي. أمّا المثقفون اليهود الذين أشرنا إليهم أعلاه، فقد رأوا في العلمانية فرصة نادرة للتححرر، ليس فقط من الشتات، إنما تحرر اليهود من اليهودية بمفهومها الديني المقيّد.<sup>1</sup> بمعنى أن الشريعة لن تكون صاحبة القرار والتوجيه في تعريف اليهودية وجعل اليهودي يهودياً، إنّما علاقة اليهود ببعضهم البعض كشعب، وشمسكم بأصولهم الإثنية والقومية.<sup>2</sup>

هذا التحول الذي شهدته الساحة اليهودية في أوروبا انعكس تماماً في إسرائيل حين تأسسها. فالمؤسسون لها كانوا متأثرين بالتنوير والانفتاح على مفاهيم معاصرة للعلمانية بعيداً عن اليهودية المتزمتة والمرتبطة بقيود توراتية صارمة.

هذه، بدون أدنى شك، محاولة إنتاج جديدة لمفاهيم يهودية حداثوية متأثرة برياح بل عواصف التحولات الفكرية التي شهدتها الساحة الأوروبية عموماً على مدى النصف الثاني من القرن الـ 19 ومطلع القرن العشرين.

لقد أقام مؤسسو الدولة جهاز تربية وتعليم وفقاً لأسس أوروبية حداثوية، آخذين بعين الاعتبار الموروث الثقافي الديني، وليس الديني العقائدي. وهذا ما يدعو إليه في أيامنا الحالية منتدى العلمانية في إسرائيل، الذي تمّ تأسيسه كرد فعل على خطوات التدين التي تضرب بهذا الجهاز.

في حين أن وزير التعليم في إسرائيل نفتالي بينيت يعتقد أن التعليم الروحي أهم من العلمي، وأن على إسرائيل تصدير منتجاتها التكنولوجية بكونها دولة عظمى في هذا المجال، وأيضاً تصدير قوتها الروحانية المستقاة من التوراة.<sup>3</sup>

---

Schumacher-Brunhes, Marie (2012). Enlightenment Jewish Style: The Haskalah Movement in Europe. Mainz: Leibniz Institute of European History (IEG). (تُسمى حركة التنوير بالعبرية «هسكلاه»).

1 يتطرق كركوتسين بإسهاب إلى رفض الصهيونية قبول مصطلح الشتات في مقالته المذكورة سابقاً، 23.

2 باولا هايمن، كيف أثر التنوير على المجتمع اليهودي في أوروبا، 2017/1/11. [goo.gl/J41Yk3](http://goo.gl/J41Yk3)

3 موقع ماكو، 2016/9/13. [goo.gl/NHN5NU](http://goo.gl/NHN5NU)



## دولة إسرائيل: إنتاج علمانية متجددة ومتدينين جدد

هناك من يعتقد أن المجتمع الإسرائيلي ليس وحده من يسير نحو مزيد من التدين، بل تكمن الخطورة في كون شرائح واسعة تسير نحو مزيد من العلمانية الحديثة أو المنتجة حديثاً في المجتمع الإسرائيلي في ضوء المتغيرات الحاصلة في العالم. وهذه الحالة من الاستقطاب أو الشرخ التي أشرنا إليها سابقاً، أخذة بالتعمق في المجتمع الإسرائيلي، وتساهم في تعميق الفجوات الاجتماعية والفكرية والثقافية بين مكونات هذا المجتمع، وتعرّز ظاهرة التفكك القائمة أصلاً بفعل هجرة اليهود إلى فلسطين من مختلف أنحاء العالم. وإسرائيل اعتبرت نفسها، ولا تزال أنها أتون صهر لهؤلاء المهاجرين بهدف إعادة صياغتهم وبنائهم ضمن منظومة إسرائيل السياسية والاجتماعية والعسكرية والثقافية.

فإذا كان رام فرومان مؤسس منتدى العلمانيين، والمحاضر الأكاديمي يغيل ليفي، يعتقدان بخطورة هذا الاستقطاب،<sup>1</sup> فإنّ يهودا فالد عضو مؤسس في منظمة «ليبا» المتماثلة مع التيار الحريدي في الصهيونية الدينية، هو يُحدّد بنفسه أنّ الهدف هو تعزيز الهوية اليهودية في إسرائيل. ويضيف جملة مهمة مفادها: «إنّ ما تقوم به (ليبا) ليس تديناً، إنّما إعادة تشكيل من جديد للهوية اليهودية لدولة إسرائيل».

وبالتالي ما هي وجهات نظر الأكاديميين في هذا السياق المتعلقة بإنتاج علمانية جديدة ومتدينين جدد؟ يدّعي المحاضر الجامعي جاي بن بورات<sup>2</sup> من جامعة بن غوريون في بئر

1 يمكن الاطلاع على وجهات نظر كل واحد منهما على موقع المنتدى العلماني. [www.hiloni.org.il](http://www.hiloni.org.il)

2 جاي بن بورات، نظرياً وعملياً - علمنة الحيز العام في إسرائيل، برديس، حيفا، 2016، 11-27.

السبع أن ما مرّ به المجتمع الإسرائيلي في العقد الأخير هو علمنة وليس تديناً. ويبرهن ادّعائه هذا بأنّ عشرات المحلات التجارية تفتح أبوابها يوم السبت، وكذلك محلات الطعام وغيرها. فتجارة السوق تثير شهية كثيرين لفتح محلاتهم لجني أرباح أكثر حتى يوم السبت.<sup>1</sup> وهو يعتقد أنّ مغريات الاستهلاك تدفع حتى الذين يقدسون السبت بطريقتهم المبسطة، إلى التعامل مع الوضع التجاري. ويعزّز بصورة أعمق حالة التدين المنتجة من جديد في إسرائيل في الفترة الموازية تماماً، مع وصول أكثر من مليون مهاجر من الاتحاد السوفييتي سابقاً والدول التي كانت خاضعة له، بعضهم يهود، والبعض الآخر ليسوا يهوداً، بل إن معظمهم من العلمانيين. في حين أن التحولات الحاصلة على أرض الواقع هي ديمغرافية وجغرافية؛ أي إعادة توزيع وانتشار المتدينين في مناطق خاصة بهم، حيث تتجدد ظاهرة التدين. وهناك حارات في مدن تعتبر علمانية هي تخص المتدينين (كما هو الحال في القدس وحيفا، على سبيل المثال وليس الحصر). أمّا المهاجرون الجدد، فشكّلوا إضافة نوعية للعلمانية في إسرائيل، ولكنهم لم يأخذوا دورهم النضالي في وجه التيار الديني إلا بعد مرور فترة زمنية ليست بقليلة. وهذا ناتج من اهتمامهم بتأسيس قوتهم الاقتصادية والوظيفية في مؤسسات ودوائر الدولة، وفي القطاع الخاص.

وإلى جانب تعزّز ظاهرة العلمنة في الحيز العام في إسرائيل، يشير بن بورات إلى ظاهرة التدين في الأماكن العامة على شكل جُزُر متناثرة، تشكّل ملعباً لتحرك سياسيين نفعيين في أوقات الانتخابات البرلمانية على وجه الخصوص،<sup>2</sup> حيث يسعى سياسيون في سدة الحكم مباشرة، أو في الائتلاف الحكومي، إلى الاستفادة من هذه الجزر لجني مكاسب سياسية، إلا أنّ ظاهرة التدين تجد من يرعاها مباشرة من قبل الأحزاب المتدينة والحركات والجمعيات المؤيدة لها. بمعنى آخر، فإنّ العلمنة لا تمتلك دعماً سياسياً معلناً عنه، في حين أنّ التدين يحظى بذلك. وهذا يعني أنّ الجو العام تنتشر فيه أشكال ومظاهر

1 هناك أدبيات كثيرة حول موضوع السبت وفتح المتاجر خلاله، طبعاً هذا يتعارض مع أسس الشريعة اليهودية. لكن تيارات علمانية تنادي بعكس ذلك، أي إتاحة المجال لفتحها. في حين أن الائتلاف الحكومي معزّز دائماً للتفكك في حال قبول هذا المطلب. لهذا أسرع حزب شاس - المتدينون الشرقيون - نحو تشريع قانون يمنع فتح المتاجر ويعاقب كل من يخالفه (شُرّع القانون في الكنيست في كانون الأول 2017). حول هذا النقاش الحاد داخل المجتمع في إسرائيل، يراجع كتاب بورات المذكور أعلاه في الفصل السادس منه.

2 بورات، مصدر سابق، 57.

تدلل على كون أسسها أو بعضها دينياً. وهذا يعني، أيضاً، خروج الديني من أطره الدينية باتجاه مرافق ومركبات أخرى في المجتمع.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ مؤسسي إسرائيل منذ الإعلان عنها (1948)، أرادوها دولة يهودية. وتفسيرهم لهذه الإرادة ألا تكون دولة علمانية ليبرالية بكليتها؛ أي ألا يكون لها ارتباط بالموروث الحضاري اليهودي فحسب، إمّا أن تكون التوراة شبيهة بقوشان (أي حق الملكية) الشعب اليهودي على «أرض إسرائيل»<sup>1</sup>. ومن هذا المنطلق، تمّ، على مرّ الزمن، تطوير علاقة بين الأسطورة اليهودية وبين العلمنة الإسرائيلية، ما يعني أنّه في مرحلة عملية علمنة اليهودية نتج عنها التزام العلمانية بالأسطورة والعناصر الدينية المركزية لليهودية. وبالتالي، فإنّ الشغف للعلمنة بمفاهيمه اليهودية كما أرادها مؤسسو إسرائيل، والإتاحة لحياة يومية مركّبة، يواجه اليوم تخبّطاً بين التيار العلماني المتجدّد الذي يشعر أنّه يتآكل، وبين التيار الديني المتجدد الذي يسعى إلى تحويل نظم الحياة، وجهاز التعليم في مقدمتها، إلى نظم متدبنة وفقاً للأسس الدينية اليهودية.<sup>2</sup>

1 أهارون رول، سارقو القوشان التوراتي، 2012/3/30. <https://goo.gl/9DCsE9>

2 نعمة أزولاي، نحن اليهود العلمانيين؟ تعريف هوية في حركة التجدد اليهودية في الحيز العلماني، في: يوحى فيشر، مصدر سابق، 314-325.





## جهاز التعليم في إسرائيل<sup>1</sup>

يعمل جهاز التعليم في إسرائيل بموجب قانون التعليم الإلزامي الذي شرّعه الكنيست الإسرائيلي في العام 1949 (تمّ إدخال تعديلات عليه في مرات عدّة على مرّ الزمن، ويجري حالياً طرح مشروع لإعادة صياغته)، والذي يُلزم كل مواطن إسرائيلي أن يلتحق بإطار تعلّمي من جيل 3 سنوات وحتى جيل 17 سنة؛ أي من الحضنة وحتى نهاية المرحلة الثانوية في الصف الثاني عشر.

ووفقاً لتقسيمات الأجيال، فإنّ جهاز التعليم مبني من المراحل التالية:

- تعليم في مرحلة ما قبل الابتدائية: من جيل 3 سنوات وحتى الخامسة.
- تعليم في المرحلة الابتدائية: من جيل 6 إلى 13 سنة.
- تعليم في المرحلة ما فوق الابتدائية (إعدادية وثانوية): من جيل 13 وحتى 18/17 سنة.

ومن حيث المكانة القانونية للمدارس في إسرائيل، فهي على نوعين مُعترف بهما:

- التعليم الرسمي الذي تديره الدولة أو السلطات المحلية والبلديات.
- التعليم غير الرسمي المُعترف به الذي تديره مؤسسات دينية يهودية، إسلامية ومسيحية.

1 ايتي فايسبلاي، جهاز التعليم في إسرائيل - قضايا مركزية تمت مناقشتها في لجنة التربية والثقافة والرياضة في الكنيست في 2013، إصدار مركز البحوث والمعلومات في الكنيست.

في حين أنّ الجهاز نفسه مُقسّم، تعليمياً/تربوياً، إلى:

- رسمي مؤلف من مؤسسات تعليمية علمانية في المجتمعين اليهودي والعربي، ويدار من قبل الدولة.
- رسمي متدين ومؤلف من مؤسسات دينية صهيونية، ويُدار من قبل الدولة.
- القطاع الخاص.

كل هذه المؤسسات تخضع لتفتيش رسمي من قبل وزارة التربية والتعليم، وإمّا بتشديد متفاوت وفقاً لأجندات سياسية في كثير من الأحيان. ونقصد بها هنا تركيبة الائتلاف الحكومي، ومدى قوة الضغط التي تفعّلها الأحزاب المكونة لهذا الائتلاف. فعلى مدى عقود مديدة، لعبت التشكيلة الحكومية دوراً في التأثير على أهداف ومضامين التعليم، وبخاصة لما يتسلم هذه الوزارة ممثل عن حزب متدين أو يميني متطرف.

## التعليم الديني وتعزيز التدين

من الصعوبة بمكان فهم حالة التدين الحاصلة في جهاز التعليم عموماً من خلال حدث معين، أو مادة تعليمية واحدة ... لكن من الثابت في الآونة الأخيرة، وتحديدًا في الكتب التدريسية، أنّ حالة التدين آخذة بالانتشار في أكثر من كتاب، وفي أكثر من موضوع تعليمي مُقرّر في جهاز التعليم في إسرائيل. ويتعزّز التعليم الديني بمُركباته المختلفة، بما فيها الكتب التعليمية، في حالة ترؤس وزير متدين ومتشدد سياسياً كنفثالي بينيت زعيم حزب البيت اليهودي، وهو عضو في الائتلاف الحكومي في حكومة نتياهو الحالية، وزارة التعليم. ولفهم التحولات السريعة التي حصلت منذ تعيينه في هذه الوزارة، فإنّ معهد (pew) الأميركي كشف النقاب من خلال استطلاع رأي ومجموعة من البحوث الميدانية على مساحة مواقع كثيرة في قارات العالم،<sup>1</sup> أن 40% من المجتمع في إسرائيل، يُعرّف نفسه بأنه علماني. أمّا الباقي، فيُعرّفون أنفسهم محافظين، متدينين وحريديين.

لا شك أنّ ظاهرة العلمنة، بحسب وجهة النظر هذه، في تراجع نسبياً وحضورياً، وأنّ ظاهرة التدين تتعزّز في جهاز التعليم، كما أنها تتعزّز في مواقع أخرى من الأحياء الحياتية العامة في إسرائيل.<sup>2</sup>

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى وزراء التربية والتعليم الثلاثة في العقد الأخير، وتحت مظلة حكومة نتياهو، وهم بينيت (الوزير الحالي)، وسابقه شاي بيرون، وجدعون صاعار، اللذان عملا على إدخال المزيد من المركبات اليهودية إلى الجهاز. وجدير ذكره أنّ بينيت

1 تقرير (Pew) الأخير تحت عنوان: Many Countries Favor Specific Religions, Officially or Unofficially على موقع المعهد، goo.gl/oy615A .2017/10/3

2 بورات، مصدر سابق، 91.

لا يعمل جهازاً وبسرعة على إدخال هذه المركبات، إنما تدريجياً منعاً للضجة والمعارضة من طرف العلمانيين. ونود إضافة أمر ما أن بينيت لم يضع أي مشروع رسمي موقَّع باسمه لتعميق التدين في جهاز التعليم الذي يقوده. لكن، بالمقابل، فإنَّ وزارته زادت من ميزانيات الدعم لمشاريع تربوية ذات صبغة دينية، من خلال توجيه هذه الميزانيات لجمعيات من خارج الجهاز، لكنها تعمل فيه بموافقة وترخيص من الوزارة، وفي مقدمتها خطة تعليم «الثقافة اليهودية - الإسرائيلية» في المدارس التي أقرتها وزارة التربية في عهد بينيت.<sup>1</sup> وباعتقادنا أن مشروع تعزيز تعليم الرياضيات والإنجليزية الذي يقوده بينيت تدرج في سياق التغطية على تعزيز التدين غير المباشر، وأيضاً لامتناس أي حالة غضب وعدم رضا من قبل التيارات العلمانية في الشارع الإسرائيلي العام.

لكن لا بدَّ من الإشارة هنا إلى النقاش التاريخي الطويل بين مؤيدي تعزيز التعليم الديني لكل أبناء إسرائيل، ولكن على أسس ثقافية وليست عقائدية، وبين مؤيدي تعزيز هذا التعليم على أسس مرتبطة بقوة مع النص التوراتي. وفي العودة إلى نهايات القرن الـ 19، ومطلع الـ 20، نعث على أدبيات متنوعة ناقشت هذا الأمر.<sup>2</sup> فالتأثرون بالثقافة الأوروبية التنويرية، دعوا إلى الاستفادة من خبرة السلف من الحكماء اليهود كقيم حياتية وليست دينية. أمَّا المتأثرون بالأجواء الدينية التي كانت منتشرة في أوروبا الشرقية، فدعوا إلى مزيد من التعليم الديني.

وفي واقع الأمر، فإنَّ هذين التوجهين/التيارين، لا يزالان قائمين في الشارع الإسرائيلي. والنقاش بينهما قوي. وعلى الرغم من أنَّ جهاز التربية والتعليم في إسرائيل عمل ولا يزال على خلق تعليم إسرائيلي قريب من خط موحد، فإنَّه وبمجرد وجود أنواع من التعليم، فإنَّ العلمنة ليست سائدة، والتدين غير سائد في هذا التعليم.

وفي الميل الآخر، فإنَّه في حال تبدل الوزير، فباعتمادنا أنَّ منسوب ظاهرة التدين سيأخذ بالتراجع، أو بالتقليل منه حال تجفيف أو قطع الميزانيات المخصصة للجهات الداعمة له، إلا إذا بقيت الوزارة بيد التيار السياسي ذاته المشارك في الائتلاف الحكومي، ونقصد هنا

1 أور كاشتي، يلزومون المدارس بخطة تعليمية دينية، هآرتس، 2017/9/17. goo.gl/xtFFyJ

2 كركوتسين، مصدر سابق، 109.

## التيار الصهيوني الديني.

لكن حالياً (2017/2018)، فإن الظاهرة قائمة وأخذت بالانتشار في كتب التدريس، وفي الأنشطة اللامنهجية التي تنظمها المدارس في أروقتها للطلاب وأحياناً للأهالي، علماً أن أنظمة تغيير الكتب خاضعة لقرارات الوزارة ولجنة التعليم البرلمانية، التي تجيز ذلك كل خمس سنوات وفقاً لمعايير مهنية في الأساس. لكن، بدون أدنى شك، فإن تأثيرات موجهة من قبل الوزير تؤخذ بعين الاعتبار في أوقات كثيرة.<sup>1</sup>

وفي التعمق في مناهج التعليم، فإننا نجد أن تعليم الوزارة هو إلزامي من الصف الأول وحتى الصف الثاني عشر؛ أي أن تعليم التوراة يغطي كل المرحلة العمرية - التعليمية للطلاب اليهودي. أضف إلى ذلك، أنه في بعض مناهج التعليم، وفي عدد من المدارس في إسرائيل، ألزمو الطلاب دراسة التفاسير وفقاً لمدارس دينية مختلفة، ما يعني أن جهاز التعليم في إسرائيل يُولي تعليم التوراة أهمية كبيرة لفهم واقع حياة الإسرائيلي. وعلى الرغم من ادعاء مسؤولين كبار في وزارة التعليم، أو في الأحزاب السياسية، أن جهاز التعليم يحافظ على توازناته، فإن تعليم التوراة، وعلى مدى 12 سنة تعليمية، هو في حد ذاته أساس ديني، وإن كان التعليم يختلف حول هذا الموضوع بين مدرسة في التعليم الرسمي، وأخرى في التعليم الرسمي الديني أو المستقل.

وفي تقرير سنهار<sup>2</sup> حول تعليم مواضيع يهودية في المراحل التعليمية المختلفة من العام 1991، تمت الإشارة فيها إلى أن تعليم التوراة غير كافٍ لمنح الجيل الإسرائيلي الشباب معرفة أعمق لتراث الآباء. ومن توصيات هذا التقرير دعوته إلى تعميق وتعزيز المواضيع المرتبطة باليهودية في جهاز التعليم الرسمي كقاعدة ربط بين الجيل الحالي والأجيال السابقة والتحضير للمستقبل. وتبين لواضعي التقرير أن جيل الشباب الإسرائيلي لا يفقه الكثير عن القضايا الجوهرية المرتبطة بوجود الشعب اليهودي، ولهذا السبب، فإن فهمه وإدراكه للبقاء اليهودي يلحقه ضرر كبير. وهكذا، وفي ضوء هذه التوصيات، تمت إضافة برنامج تعليمي جديد لتعزيز العلاقة مع الماضي التوراتي في السنة الدراسية 2001، تحت

1 يوفال فورغين، التفتيش على مجال كتب التدريس في جهاز التربية، مركز البحث والمعلومات في الكنيسة، القدس، 2010.

2 يمكن مراجعة التقرير على موقع وزارة التعليم، 2017/12/21، goo.gl/vvcfHH.

عنوان: ثقافة إسرائيل وتراثها، حيث تمّ تدريسه في مرحلته التجريبية من الصف الرابع وحتى الثامن، ثم تمّ تعميمه على سائر المراحل العمرية في الوزارة. ويقضي هذا البرنامج بتعليم الطالب الإسرائيلي عن التوراة الشفوية، وعن خزنة الكتب اليهودية، والإنتاج الثقافي العلماني. وكان الوزير جدعون صاعار هو الذي دفع قدماً بهذا البرنامج لجني مكاسب سياسية، وبالتالي تعزيز العلاقة بين الطالب العلماني وتراثه اليهودي بما فيه الديني، وأيضاً لتعزيز الانتماء القومي، ورفع مستوى الراديكالية السياسية والقومية داخل وزارة التعليم.

وهذا التداخل بين العلماني والديني أخذ مساراً سريعاً أكثر من سابقه في عهد بينيت، حيث تعزّزت العلاقة بين الاهتمام بالهوية اليهودية في المدارس، وبين المنظمات والجمعيات اليهودية الوطنية التي توفر في نهاية المطاف تفسيرات سياسية ودينية لقضايا يهودية؛ سواء أكانت توراتية أم آنية. بمعنى آخر، فإنّ الربط بين التعليم وبناء الهوية من خلال تعزيز حضور مركبات دينية مقتبسة من التوراة، وكتب التفاسير، وغيرها، يجعل من جهاز التعليم أكثر تديناً من أن يكون متوازناً. ومن الطبيعي أن تكون الكتب التعليمية إحدى أهم الأدوات لتحقيق هذه الغايات.

وفي نظرة عامة على ما تقوم به وزارة التعليم، من خلال وزيرها، ومن خلال مشاريعها، فإنّها تعزّز ظاهرة التدين في المدارس والكتب التعليمية. وأيضاً، فإنّ توفير الدعم المالي للجمعيات والمؤسسات الدينية على تقديم خدمات تعليمية من خارج الأطر المدرسية، وفي الأطر المدرسية، كلها عوامل مساعدة على تعميق المركبات الدينية في هذا الجهاز.

بمعنى آخر، بدأت خيوط الفصل والبعد بين التعليم الرسمي العلماني والتعليم الرسمي الديني في مزاحمة قوية على الأهداف التفصيلية والمضامين، وبالتالي على نهج الحياة اليومي.

إذن، تعزيز التعليم الديني خلق واقعاً جديداً فرض بروز مبادرات من علمانيين للدفاع على التعليم العلماني، والدعوة إلى التمسك بالتوازن القائم إلى الأمام في هذا الجهاز بكل مكوناته.

## الكتب التعليمية أداة سيطرة وهيمنة وفرض أيديولوجيا

تعتبر الكتب التعليمية في المواضيع الأدبية والاجتماعية والدينية ذات تأثير فعال في بناء شخصية المتلقي وهويته ورؤاه الآنية والمستقبلية. وتتحول الكتب التعليمية، كما المناهج المؤسسة لها، إلى أداة قوية ومؤثرة بيد صنّاع القرار في أي دولة كانت، وبخاصة تلك التي تُشرف بنفسها على جهاز التعليم، أي أنّ هذا الجهاز لا يتمتع باستقلاليته. وتكشف الكتب السياسة الموجهة للدولة، وطرق تعاملها مع قضايا صراعية أو خلافية داخل المجتمع ذاته، وبين مجتمعين أو أكثر في حالة صراع طويل، كالصراع الإسرائيلي - الفلسطيني<sup>1</sup>.

وعلى الرغم من أنّ وسائل تواصل أخرى غير الكتاب آخذة بالانتشار في العقدين الأخيرين بين الطلاب المتلقين للمواد التعليمية، فإنّ الكتاب لا يزال حاضراً في معظم المدارس في إسرائيل كأداة إلزامية للتعليم والتعامل مع المادة التعليمية<sup>2</sup>.

وبيّنت الأبحاث أنّ طلاباً بنسب عالية يُفضلون التكنولوجيا كأداة تعليمية، إلا أنّ الطغي حتى هذه اللحظة هو الكتاب. فالكتاب لا يزال محافظاً على حضوره السلطوي، بحيث إنّ الطلبة يتعاملون معه كسلطة موثوق بها لدراستهم واجتيازهم الامتحانات في نهاية المطاف. والارتباط بالكتاب هو عنوان للدخول إلى عالم المعرفة، وبالتالي إلى عالم الجامعة

1 إيلي بوديه، الصراع الصامت: انعكاس العلاقات الإسرائيلية - العربية في كتب التعليم في إسرائيل بين 1948-2000، دورية زمانيم، عدد 77، 2000، 20-30. (بالعبرية).

2 Altbach, G.P. The Oldest Technology: Textbooks in Comparative Context. in Compare: A Journal of Comparative Education, 17(2), 1987, pp. 93 – 106.



والدراسات العليا. فالنصوص المكتوبة تمنح قارئها شكلاً من أشكال الشعور بالأمان والركون إليها مرحلة مهمة في اجتياز المتطلبات المدرسية. والكتب التعليمية بنصوصها هي، عملياً، نقل للموروث الثقافي السابق بكلمات معاصرة اختارها كاتب الكتب التعليمية.

والكتاب، إضافة إلى كونه مادة تعليمية مرافقة لمراحل تعليم الطالب في الأطر المدرسية، فإنه أيضاً - أي الكتاب - وكيل جماعة أيديولوجية وسياسية موجهة، تهدف الجهة الواضحة له إلى تحقيق غايات ذات صلة مباشرة أو غير مباشرة بأجندتها السياسية أو الدينية أو القيمية. فعلى سبيل المثال وليس الحصر هنا، فإن الرسائل التي تبثها نصوص تعالج كيفية بناء العلاقة مع «الآخر» في كتب التعليم، لها تأثير كبير على الفهم والإدراك السياسي والاجتماعي للطالب المتلقي. والأشد خطورة هو استخدام نصوص أو نماذج دينية في مادة تعليمية في مواضيع التاريخ والجغرافيا والمدنيات والعلوم الاجتماعية. عندها سيكون تأثيرها أكثر فعالية من عدم إيرادها.<sup>1</sup>

وبيّنت البحوث المتعلقة بمبنى ومضامين الكتب التعليمية أنها أداة بناء الهوية الوطنية والهوية الثقافية والذاكرة الجمعية، وعامل رئيس في الربط بين الحاضر والموروث الثقافي على مدى عصور خلت.

وقر الكتب التعليمية في إسرائيل بمراحل تدقيق متشددة قبل نيل المصادقة عليها من قبل وزارة التعليم. ولواضعي سياسات تربوية في إسرائيل، تأثير ما على صنّاع القرار في هذا المجال. وتلعب السياسة دوراً مركزياً غير مباشر في عملية صناعة الكتب التعليمية. ومنها على سبيل المثال كتب التاريخ والجغرافيا والمدنيات، وذلك لمنع إدخال أي مضامين أو أسماء لا تنسجم مع الفكر البنيوي للوزارة المؤسس على إبراز يهودية الدولة، وإنكار وجود الشعب الفلسطيني وتاريخه وتراثه.

ومما لا شك فيه، أنّ صنّاع القرار في إسرائيل يعون وعياً كاملاً أهمية ودور الكتب التعليمية في صياغة وبلورة مواقف وتوجهات الطلاب في المدارس، وبالتالي تعزيز أفكار

1 دانييل بار طال، الصراع العربي الإسرائيلي بكونه خارج السيطرة وانعكاساته في الكتب التعليمية الإسرائيلية، دورية مجاموت، عدد 339، 1999، 445 - 491. (بالعبرية).

معينة تترسخ عميقاً في الوعي التربوي والاجتماعي العام.

لهذا، فمما لا شك فيه، أنّ الكتب التعليمية تُشكل أداة توجيه فكري وأيديولوجي وديني وسياسي واجتماعي في إسرائيل. وعلى الرغم من محاولات جاهدة للحكومة ولسياسيين بناء صورة مغايرة بأنّ هناك استقلالية في الكتب التعليمية، فإن الواقع يُبين أنّ هذه الصورة زائفة وغير حقيقية. والعكس هو الصحيح، بأنّ الكتب التعليمية، في المواضيع التي أشرنا إليها أعلاه، تحمل نصوصاً ورسائل واضحة ومبطنة لسياسات الحكومة وللنقاشات السياسية الدائرة في ساحات السياسة العامة.

من هذه القاعدة، فإننا نرى أنّ الكتب التعليمية لا يقتصر دورها على التلقين والتعليم المعرفي، إنّما هي أداة لفرض هيمنة تيارات حزبية وفكرية وسياسية متنوعة فُدر لها أن تكون في غرف اتخاذ القرارات، ووضع السياسات التربوية. وادّعت زهافا غالثون رئيسة حزب ميرتس سابقاً، أنّها ليست ضد التعليم الديني، إنّما ضد جعل جهاز التعليم والكتب التعليمية، في مقدمتها، قوة سياسية بيد الوزير بينيت لتحقيق مكاسب سياسية ودعائية.<sup>1</sup>

ولا شك في أنّ المتلقين، وفي هذه الحالة الطلاب، يقعون تحت تأثيرها؛ سواء أكان مباشراً أم غير مباشر، وهذا هو شأن العملية التعليمية.

1 أفرات نومبرغ يونج، مضامين دينية في جهاز التعليم؟ في وزارة التربية والتعليم لم يسمعوا عن ذلك، موقع ماكو، 2017/6/27. goo.gl/xMXuao



## واقع التعليم وتحولاته في العقدين الأخيرين

تشهد الساحة التعليمية الإسرائيلية في العقدين الأخيرين سلسلة من التغيرات والتحولات المرتبطة، بالأساس، بمناهج وكتب التعليم، وزيادة منسوب تدخل أطراف من خارج المدارس فيها، وعلى وجه الخصوص جمعيات ومؤسسات محسوبة على تيارات سياسية شريكة في الائتلاف الحكومي، ومستفيدة من ميزانيات اتفاقيات تشكيل الائتلاف الحكومي.

وهناك تيار يزعم أنّ التغيرات ليس مصدرها فقط توجهات جديدة في وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية تحت إمرة الوزير بينيت، إنّما في المجتمع الإسرائيلي الذي تشهد بعض شرائحه جنوحاً نحو التدين. بمعنى آخر، ما يحدث في الوزارة، عموماً، هو مرآة لما يحدث خارجها في ميادين المجتمع والنخب السياسية الحاكمة. لكن هذا تفسير جزئي وليس شمولياً<sup>1</sup> ففي جهاز التعليم الرسمي العلماني، ليس الدين هو النواة وجوهر التعليم، إنّما يتم التعليم عن التوراة من منطلق المعرفة بالتراث الحضاري لليهود في زمن مضى، وكيفية التعامل معه كموروث يتوجب الحفاظ عليه.

ومن أبرز التغيرات تلك التي لها صلة بالكتب التعليمية، والتي تحتوي رؤى وتطلعات الأحزاب السياسية والمؤسسات الدينية، ويتمّ التعبير عنها من خلال النصوص التعليمية. ومع ازدياد انتشار المؤثرات الدينية في الأحياء العامة في إسرائيل، ازدادت، أيضاً، مؤثرات دينية في الكتب التعليمية. بمعنى، أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين ما يجري في الحلبة السياسية والحزبية، وبين ما يجري في دوائر إعداد الكتب التعليمية. هذه العلاقة أصبحت مرافقة

1 سيفي كروبسكي، جريدة كالكاليست، 2017/2/6، goo.gl/FzFPRP

لعملية صياغة مناهج تعليمية، وبالتالي ترجمتها إلى مادة ملموسة وقابلة للتدريس في الكتب التعليمية.

ولاحظ المنتدى العلمانيين الذي تشكل مؤخراً (2015)، أن الشكاوى التي وصلتته من أهالٍ ومعلمين وطلاب، تُشير إلى تراجع في جودة تدريس المواضيع العلمية والثقافية والفنية، بل أشير إلى عملية إقصاء لمواضيع تعليمية شكلت ركناً أساسياً في عدد من المدارس اليهودية في التعليم الرسمي لصالح مزيد من تعليم التراث اليهودي بكونه ليس دينياً كما هو معلن عنه، إنما من باب التثقيف<sup>1</sup>. لكن في الواقع، فإن الأمور تسير بغير هذه الطريق، حيث إن تغيير مواضيع النواة، أي المركز في التعليم في المدارس الإسرائيلية الرسمية، لتشمل موضوع «تراث إسرائيل»، فيه دلالات منهجية وبنوية تترك آثارها عميقاً وبعيداً في المشهد التعليمي، وعلى وجه الخصوص تراجع العلمنة في العملية التعليمية. هذا التراجع لصالح مزيد من التعليم التراثي المرتبط بالنصوص الدينية؛ سواء التوراتية أو التفاسير ومجمل العادات والتقاليد والنشاطات الثقافية الأخرى، التي وقعت على محور الزمن التاريخي للمجتمعات والجاليات اليهودية في أوروبا وبعض البلدان العربية والإسلامية.

ويُشير المنتدى العلماني المدافع عن التعليم العلماني في المدارس الرسمية في إسرائيل، إلى أن التغييرات التي أدخلت على جهاز التعليم في إسرائيل متمحورة في أربعة محاور: الأول تغيير مواضيع النواة، لتشمل مزيداً من التعليم التراثي كما أشرنا سابقاً. والثاني تدين بطيء وغير ملموس، أي خفي في الكتب التعليمية. والثالث إتاحة المجال لجمعيات دينية الدخول إلى جهاز التربية من باب تقديم فعاليات ثقافية وتراثية لإثراء الطلاب، وعلى حساب ونفقة الوزارة التي تدعم بدورها هذه الجمعيات. والرابع ممارسة طقوس دينية في حضانات وروضات الأطفال والمدارس الابتدائية وحتى الإعدادية<sup>2</sup>.

ولا بد لنا في هذا السياق الإشارة إلى أن بروز ظاهرة التدين في فترة الوزير الحالي بينيت مؤسسة على قواعد أنتجها حزب «البيت اليهودي». والتدين تعدى كونه ظاهرة جانبية

1 موقع المنتدى العلماني، وبخاصة التقارير الجارية التي يرصدها موظفوه من الميدان. [www.hiloni.org.il](http://www.hiloni.org.il)

2 موقع المنتدى العلماني.

ليُصبح مركزياً في التصادم الآخذ بالاشتداد في السنوات الأخيرة بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل حول مضامين ونصوص الكتب التعليمية.

وعلى الرغم من التصادم الفكري والعملي بين التيارين العلماني والديني، فإن هناك تياراً يتحرك باتجاه الدمج بين العلمنة والتدين. بمعنى آخر، دمج بين تراث يهودي وبين نهج حياة عصري يتيح المجال للطالب اليهودي العيش في عصر متقدم بعيداً زمنياً وفعالاً عن ممارسة ما تفرضه الشريعة اليهودية، لكنه يحافظ على جوهر التراث قيمياً وراثياً. مع إمكانية ممارسة شعائر دينية ليست متشددة، وإنما تتمتع بهرولة ما.<sup>1</sup>

هذه التوجهات الوسطية، ليست حديثة العهد في الأطر التعليمية، إذ إنها كانت قائمة منذ العقد الأول لتأسيس إسرائيل، إلا أن الصدمات الفكرية والميدانية في قطاع التعليم بين التعليم العلماني والتعليم الديني، ساهمت في إشعال الموضوع لفترات معينة. وها هو يعود من جديد ليطفو على الوجه في السنوات الأخيرة، من خلال الكتب التعليمية والأنشطة المدرسية، وتغلغل الديني في الحيز المحسوب على العلماني، وهو التعليم الرسمي.

ومن الصحيح أن نُشير إلى مخاوف التيار العلماني تجاه ظاهرة التدين في جهاز التعليم، وبخاصة في أمرين من الأربعة التي أشرنا إليها: الكتب التعليمية وتغلغل الجمعيات الدينية، أو فتيات في الخدمة الوطنية (المدنية) اللواتي يدخلن إلى المدارس تحت هذا المُسمى.

بالنسبة إلى التغيرات في الكتب التعليمية (وسنأتي على نماذج وعينات منها لاحقاً) فإن ادعاءات المنتدى العلماني أنها في باب السلوكيات التقليدية المشار إليها في التراث الديني اليهودي، ويعني ذلك اتباع سلوكيات تتناسب وما تفرضه أو توجهه الشريعة اليهودية من خلال النصوص التوراتية. وأشار مؤسسو المنتدى إلى الزيادة في عدد الساعات المخصصة لتعليم مواد ذات صلة بالتراث والتوراة ومواضيع دينية ملحقة بهما. ففي الوقت الذي تمّ فيه اتخاذ قرار برفض مشروع تعليمي يتعامل مع التراث كمادة تثقيفية وليست

1 أقر الكنيست الإسرائيلي تأسيس تيار للتعليم الرسمي مكون من العلماني والديني بهدف تربية النشء على التعددية. انظر مزيداً من التفاصيل على موقع «واله»، 2008/3/26. goo.gl/MTuW6d

دينية، فإنّ الوزارة أتاحت المجال لإقحام تعليم التراث ليس من الباب الديني، إنّما بزيادة الساعات فقط. عملية الالتفاف هذه تميز التوجهات الإدارية لكل من يتولى وزارة وافداً من حزب ديني.

وفي إطار نشاط المنتدى العلماني، تمّت مراجعة أكثر من 600 نص في الكتب التعليمية، تمّ اختيارها من عدد كبير من الكتب التعليمية من الصف الأول الابتدائي وحتى الثالث الثانوي؛ أي الصف الثاني عشر، تظهر في ثلثها كلمة أو أكثر وتلميحات وإشارات دينية مثل صلوات، أو ممارسة دينية لطقس ديني ما، أو تفسير ديني للأعياد والمناسبات الدينية. أمّا في الثلث الأخير فهي عبارة عن نصوص وفقرات ثقافية عامة، بعض منها مقتبس من الموروث الأدبي والتاريخي اليهودي، وإن كان ليس دينياً، إلاّ أنّه نشأ في بعض إشارات في حاضنة دينية في أوساط الجاليات اليهودية في أوروبا في القرون الخمسة الأخيرة في أقلّ تحديد.<sup>1</sup>

وجدير ذكره في هذه النقطة، تحديداً، أنّ اليهودية ليست فقط ثقافة عندما يحين موعد تدريسها من خلال الكتب التعليمية. بمعنى آخر، إنّها ليست مجردة من جذورها الدينية الوارد ذكرها في التوراة والتفاسير وما حواليها. ومن جهة أخرى، فإنّ أعداداً كبيرة من طلبة التعليم الرسمي في إسرائيل، يفدون إلى المدارس من عائلات محافظة (تعبير محافظة في هذا السياق للدلالة على ممارسة بعض العادات والتقاليد، ومن بينها الحفاظ على حرمة السبت وفقاً للشريعة والتعاليم اليهودية)، تمارس بعضاً من العادات والتقاليد في المناسبات الدينية كالأعياد اليهودية. وهذا ما يريده العلمانيون؛ تعليم يهودي وليس عقيدة تُمارس فعلياً من خلال سلسلة من الفعاليات والأنشطة في المدارس، إضافة إلى الكتب التعليمية.

1 أور كشتي، هآرتس، 2017/7/7.

## نصوص ذات توجهات دينية صرفة

يسود الاعتقاد أنه إلى فترة قريبة جداً، لم تُقحم مضامين ونصوص دينية يهودية صرفة في جهاز التعليم الرسمي. لكن، ومنذ عقدين تقريباً، وبالأخص منذ عقد، تتم عملية إسقاط من فوق، أي من القيادات العليا في الجهاز، لنصوص من هذا النوع. عملية الإسقاط هذه تُشير بكل وضوح إلى سياسة من يقف على رأس هذا الجهاز، بل الوزارة. ومن جهة أخرى، فإن أي إسقاط من فوق دون حدوث نقاش حول المضامين والنصوص، هو أمر لم يكن مُتبعاً في السابق. وهذا ما يعتبر أكثر من مجرد اقتحام واختراق الديني للعلماني، إمّا إكراه. وبالتالي، فإن حالة الإكراه، وفي حال زيادة منسوبها، فإنها تؤدي وفق كثيرين من العلمانيين في إسرائيل إلى الابتعاد عن التعامل مع نصوص كهذه، أو أنها لا تعود تعني شيئاً بالنسبة للطلبة.

ففي دروس موضوع الأدب للصف الثالث الابتدائي، تمّ الكشف عن نصوص تدمج بداخلها مغازي دينية أو رموزاً دينية. فعلى سبيل المثال، المبالغة في وصف الأعياد اليهودية وكيفية الاحتفال بها، وفي بعض منها على الطالب (أو الإنسان) أن يطلب المغفرة من الله. وتغيب مساحة التحليل والتفكير على حساب حافظة الطالب.<sup>1</sup> ويتعلّم طلاب هذا الصف في كتاب بعنوان «كلمة طيبة» (بالعبرية)، وفيه الكثير من الرموز والإيحاءات الدينية، إضافة إلى الشروحات عن الأعياد اليهودية، وهي مواد عادية كشرح لمناسبة، وما تتضمنها من عادات وتقاليد يقوم بها اليهود.

وتُشير التدقيقات التي أجراها المنتدى العلمي لعدد كبير من الكتب التعليمية إلى

1 لمزيد من التفاصيل حول الملاحظات التي جمعها المنتدى العلمي، يراجع موقعه: [goo.gl/8MQqot](http://goo.gl/8MQqot)



ظاهرة أخرى غير النص، وهي الرسومات التوضيحية التي ترافق القطع الأدبية أو المواد التعليمية في مواضيع شتى، تحوي في بعضها دلالات دينية. فعلى سبيل المثال، يظهر في عدد من الرسومات والصور رجل على رأسه قبعة دينية يهودية.<sup>1</sup> وترد قصص عن يهودي طيب وجيد، وغريب سيئ وشريـر. وهذه صورة نمطية عن اليهودي بكونه الإيجابي، وصورة نمطية عن الغريب، أي غير اليهودي، بكونه شريراً وسلبياً. وأشارت الباحثة سارة زامير إلى وجود مئات الأوصاف والصور النمطية عن العربي في مجال الأدب للمرحلة الإعدادية.<sup>2</sup> وكذلك في مجالات تعليمية أخرى كالتاريخ والمدنيات والجغرافيا أو المواطن. ومن جهة أخرى، فإن المعلمين يتطرقون في مناسبات تعليمية كثيرة، وأحياناً خارج النص الكتابي، إلى أهمية تنفيذ بعض الوصايا الحياتية المأمور بها في التوراة والتفاسير الكتابية الدينية، وأيضاً مسألة الحفاظ على حرمة السبت.

لا شك في أن كثيرين من الأهالي يعتقدون أن مثل هذه التعاليم أو الإرشادات تندرج ضمن سياقات ظاهرة التدين في التعليم الرسمي، وهي تتجاوز ما هو وارد في النصوص في أحيان كثيرة، علماً أن شكاوى أهالي الطلاب في التعليم الرسمي العلماني يدعون أن نصوصاً ذات صبغة دينية آخذة بالزيادة، أو تدمج في نصوص قائمة بعض التوجهات الدينية أكثر من السابق. وهذا ما يمكننا تسميته بـ «الاختراق الناعم».

وفي نموذج امتحان البجروت في موضوع التاريخ للمدارس العبرية في التعليم الرسمي، تمّ الكشف عن أن عدد الأسئلة التي يمتحن بها الطلاب في تاريخ شعب إسرائيل (هكذا عنوان الموضوع رسمياً) ضعف عدد الأسئلة في التاريخ العام. وتجدر الإشارة إلى أنه في منتصف التسعينيات كان هناك تساؤلاً بين عدد الأسئلة في موضوع التاريخ: تاريخ شعب إسرائيل والتاريخ العام.

وفي موضوع الأدب عموماً، فإن الطلاب يدرسون عدداً من النصوص الأدبية من وضع رجال دين، وإن كانت تعالج قضايا حياتية، إلا أن رسائلها تحوي مزيداً من المركبات

1 على سبيل المثال وليس الحصر، اطلعنا على كتاب «أوتار تحكي»، الجزء الثالث، لتعليم اللغة العبرية للصف الأول الابتدائي، وهو من تأليف دافيد رخغولد ... تظهر فيه صور لأطفال يعتمرون القبعة الدينية. وكذلك اطلعنا على كتاب «أنا وعائلتي، أنا وصديقي»، وهو لتعليم المواطن للصف الثاني الابتدائي، وفيه اقتباسات ورسومات تميل إلى الديني.

2 سارة زامير، صورة العربي في كتب تعليم الأدب في المرحلة الإعدادية في إسرائيل، منشورات وزارة الخارجية الإسرائيلية، 2004.

الدينية. على سبيل المثال وليس الحصر، قصة عودة الرب أليعازر بن دورديا إلى الإيمان بعد أن كان يزور بيوت البغاء في مدينته.<sup>1</sup> وأيضاً، فإن عدد قطع النصوص الأدبية من الأدب العالمي تناقصت لصالح نصوص تميل إلى وصف جوانب الحياة اليهودية، ومنها الحياة الدينية. على سبيل المثال، يتعلم الطلاب عن كيفية ترتيب الصلوات وطقوسها، وذلك من خلال نصوص تشير إلى ذلك. وأيضاً يتعلمون أنه لا حق للزوجة في الميراث وفقاً للتلمود ما دام لها أخوة. وكذلك لا تقبل شهادتها أمام مجلس قضائي ... وكل ذلك في القرن الـ21، وفي دولة تتغنى بالديمقراطية والانفتاح والحداثة.

وفي كتاب «يتعلمون لينجحوا» (بالعبرية) للصف الثالث الابتدائي، تبين أن هناك قطع نصوص مليئة ومعبأة بالمفاهيم والتلميحات الدينية. على سبيل المثال، «السبت يُحافظ على حافظ السبت». وهذا النص يتطرق إلى شخص اسمه سليمان هرب من أعداء عرب مجهولين. وأثناء هربه، كان عليه الاختيار بين أن يهرب ويُخالف السبت، وبين أن يبقى ويحافظ على السبت. كان قرار سليمان غير عقلائي، إذ اختار الحفاظ على السبت وتعريض حياته للخطر. في حين أن أصدقاءه قاموا بعمل عكسي، إذ خالفوا السبت وأنقذوا حياتهم. لقد أنقذ سليمان، لأن السبت كما قال الله حافظ عليه وحماه، في حين أن الآخرين قتلوا.

النص بحد ذاته قاسٍ وموجع، لأن فيه وصفاً لقتل، وصورة نمطية عن العرب. والأُنكى من ذلك أن الأسئلة التي أعقبت هذا النص كانت أصعب من النص ذاته. فعلى سبيل المثال: كيف حافظ السبت على سليمان؟ بمعنى آخر، أن على الطلاب قبول الإجابة كما هو متوقع دون نقاش أو جدال حول سلوك وتصرف سليمان. فالجواب هو العنوان. مثل نص كهذا، وأسئلة كهذه، تدفعان باتجاه مزيد من التدين والميل نحو التأثير على نفوس الطلاب وتوجهاتهم المستقبلية.

ولا تقتصر النصوص المعبأة بالتدين على النصوص الأدبية، بل تعدت ذلك إلى مواضيع تعليمية أخرى تدرّس في المدرسة بواسطة كتب مصادق عليها من قبل وزارة التعليم في إسرائيل. فالطلاب يتعلمون في كتاب الجغرافيا للصف السادس الابتدائي، وعنوانه «نبحث

1 من موقع منتدى العلمانية، 2017/9/18.

في البلاد» (بالعبرية)، صلاة الاستسقاء في حال انحباس المطر. ويدرسون، أيضاً، في الكتاب ذاته صلاة السفر.<sup>1</sup>

والتحضيرات لمناسبة بار ميتسفا (أي احتفالات البلوغ عند الشاب اليهودي، ويصبح من حقّه قراءة التوراة في العلن) هي أرضية خصبة لإحداث غسل دماغ لدى الطلاب من قبل جمعيات ومؤسسات تقوم بتحضيرهم في التعليم الرسمي العلماني بطبيعة الحال. وبرنامج تحضير الطلاب لهذه المناسبة مليء بالنصوص الدينية والاجتماعية، من خلال أوراق عمل وكُرّاسات وأفلام توضيحية. وكل هذا بمصادقة وزارة التعليم. ومن أبرز هذه البرامج «أوفيق»، الذي يضع الطلاب في مأزق -ديليما- في عدد من القضايا والمسائل، من بينها عرض فيلم قصير عن طالب يهودي متحير في اتخاذ قرار بالسفر إلى برشلونة لمشاهدة مباراة كرة قدم مثيرة، وبين أن يبقى في المدرسة لينجز عملية حمل التوراة والطواف في الكنيس، وسط حضور حاشد لأهله ومعارفهم والمصلين. حالة كهذه تضع الطالب في مأزق نفسي واجتماعي من الدرجة الأولى.

ففي الفيلم، يظهر أنّ الطالب مُحِبٌّ للسفر، ويفضل ذلك، لكنّه في نهاية الأمر تستولي عليه فتاعات بأنّ الاختيار القيمي هو حمل التوراة. ما يطرحه التيار العلماني في مناقشته لمثل هذا البرنامج، هو تصوير العلمانية ونمط السلوك في ظلّها بأنها أحط من التدين ذي الحالة الرفيعة من حيث مستواها وواقعها.

ويشكو أهالي الطلاب في التعليم الرسمي العلماني من قلّة النصوص الأدبية العالمية ذات القيم الأخلاقية والإنسانية المميّزة، دون حاجة الطالب إلى نصوص مشبعة بعبارات وإشارات دينية لتحقيق الهدف. والهدف، في هذه الحالة، توسيع دائرة حضور مشهد ظاهرة التدين.

أهالي الطلاب في التعليم الرسمي العلماني، وأيضاً الطلاب أنفسهم، يعرفون أنّ هذا البرنامج وما شابهه ليس تعريفاً باليهودية الدينية، إنّما توجيه نحو نهج حياة ديني، وهذا ما ترفضه العلمانية. وجدير ذكره أنّ من يدرس هذه المواد؛ سواء من الكتب التعليمية، أو من خلال أوراق عمل جُهزت خصيصاً لهذا التعليم، هم معلمون متدينون

1 نينف مشياح، كوشير بإشراف وزارة التعليم، جريدة إسرائيل هيوم، 2017/1/26. goo.gl/p2QnmF

في غالبيتهم العظمى. وبالتالي، فإن أدبياته مبنية على مراجع دينية، وليس على مراجع تناقش النصوص الدينية باتجاهات مختلفة. وواضح هنا أنه سيُقدّم شروحاً دينية وفقاً لخلقياته التعليمية. وهذا ما أوضحه قانون التعليم الإلزامي بالألا يكون التعليم الرسمي العلماني مبنياً على تعليم ديني صرف.<sup>1</sup>

حديثنا هنا في الوضع الذي يتوفر فيه معلم يقوم بتعليم موضوع التراث أو التحضير لمناسبة دينية وفقاً لمنهج تعليمي موضوع، أو كتاب تعليمي مصادق عليه من قبل وزارة التعليم. وسنرى اتساع ظاهرة التدوين في البرامج التعليمية من خلال تطرقنا إلى الدور الذي تلعبه الجمعيات في هذا المضمار.

---

1 سيفي كروفسكي، مصدر سابق.



## جمعيات في خدمة التدين في المدارس الرسمية (العلمانية)

تقوم مجموعة كبيرة من الجمعيات الخاصة (أو المستقلة) بتقديم نشاطات وفعاليات على شكل محاضرات وندوات وأيام دراسية وورش عمل لطلاب المدارس اليهودية في التعليم الرسمي.<sup>1</sup> وتتم هذه الفعاليات بموافقة ومصادقة وزارة التربية والتعليم في إسرائيل، ضمن اتفاقيات ذات صبغة سياسية؛ مثل اتفاقيات الائتلاف الحكومي بين الليكود وأحزاب متدينة. ويُفهم من ذلك أن بعض هذه الجمعيات، وإن كان خاصاً، إلا أنه يعمل تحت مظلة حزب سياسي شريك في الائتلاف الحكومي. وأيضاً تُخصّص ميزانيات<sup>2</sup> من قبل الوزارة لهذه الجمعيات لتقوم بتأدية مهامها، من منطلق كونها قطاعاً خاصاً، وهذا أيضاً، يُشير إلى تلقي الوزارة خدمات مقابل ميزانيات ضمن الخصخصة التي تشهدها الوزارة كغيرها من الوزارات والمؤسسات الحكومية. ولأنّ أمر الميزانيات المخصصة للأحزاب الدينية ومؤسساتها وجمعياتها من الأمور المبهمة على الغالب في إسرائيل، إلا أنّ مصادر معينة تُشير إلى تلقي هذه المؤسسات قرابة 50 مليون شيكل للقيام ببرامجها.<sup>3</sup> وهكذا نلاحظ أنّ الوزارة تُموّل هذه الأنشطة عبر الأحزاب، وأيضاً من خلال ميزانيات ترصد للسلطات المحلية والبلدية.<sup>4</sup>

وتجدر الإشارة، هنا، إلى أنه لا يوجد في وزارة التربية والتعليم في إسرائيل جهاز أو دائرة

1 موقع المنتدى العلماني.

2 ليئور ديتل، فقدان السيطرة: ميزانية تعليم الثقافة اليهودية ترتفع - وإلى أين يذهب المال؟؛ ذا ماركر، 2017/7/6. [goo.gl/pRvoJm](http://goo.gl/pRvoJm)

3 أور كاشتي، بينيت يقول أنه لا يوجد تدين، جريدة هآرتس، 2017/7/7. [goo.gl/jUpm5m](http://goo.gl/jUpm5m)

4 عن موقع «تربوت يهوديت معت لعت»، العدد 37، أيلول 2017. [goo.gl/CyvzAX](http://goo.gl/CyvzAX)

مخصصة للتدين. كل نشاط فيه علاقة لتراث يهودي أو ديني أو غيره، يتم أو يُخطط له حتى بموافقتها ومصادقتها رسمياً، تقوم به جهة خارجية مدعومة بميزانية تغطي تكاليف هذا النشاط.<sup>1</sup>

وتعتبر منظمة «زهوت» (هوية) الأكبر بين الجمعيات؛ إذ ينضوي تحت سقفها قرابة 45 جمعية ناشطة وفاعلة، ولها 63 مركزاً لإنجاز الفعاليات والأنشطة، موزعة في مناطق مختلفة في إسرائيل.<sup>2</sup> بعض من هذه المراكز يتم تفعيله من قبل خلايا توراتية منضوية تحت سقف تيار الصهيونية الدينية. وتنشط هذه الجمعيات في 700 مدرسة و300 روضة للأطفال في التعليم الرسمي، أي ما يوازي نصف المدارس والمؤسسات في هذا التعليم، والمحسوب على التيار العلماني، وفقاً لما أوضحناه سابقاً. وطبعاً، يدّعي القيمون على منظمة «زهوت» أن لا علاقة لهم مع أي حزب سياسي علماني أو ديني. لكن علامات ودلائل العمل الميداني تشير إلى غير ذلك، إضافة إلى حجم النشاط ذاته، ما يؤكد الاحتياج إلى ميزانيات ضخمة لتفعيل هذا العدد من الجمعيات في المدارس. والأنكى من ذلك، وعلى الرغم من إنكار تلقي هذه المنظمة أي دعم حكومي، فإن رئيسها الحاخام حاييم ريتيغ هو عضو في حزب البيت اليهودي الذي يرأسه بينيت. وما قاله ريتيغ في مقال على موقع القناة السابعة «توجيه دفة سفينة دولة إسرائيل نحو الجهة الصحيحة ... نحو الأفق الأكبر لبناء ملكوت إسرائيل في أرض إسرائيل».<sup>3</sup>

ويمكننا ملاحظة العلاقة القوية بين منظمة «زهوت» والوزير بينيت بكل الاتجاهات. وبين معهد «مولاد» للبحوث أن أكثر من نصف الجمعيات المنضوية تحت سقف هذه المنظمة له صلة مباشرة مع حزب «البيت اليهودي» الذي يتزعمه وزير التربية والتعليم نفتالي بينيت.<sup>4</sup>

ويعمل في منظمة «زهوت» مئات الموظفين والعمال وفتيات لا يخدمن في الجيش الإسرائيلي، إنما يستبدلن خدمتهن بخدمة تُسمى «الخدمة الوطنية»، أو كما تعرف باسم

1 ليثور ديتل، ذا ماركر، 2017/7/6.

2 أور كاشتي، مصدر سابق.

3 موقع القناة السابعة، 2014/7/6. [goo.gl/6zjChh](http://goo.gl/6zjChh)

4 انظر: كاشتي، مصدر سابق.

«الخدمة المدنية»، وهي بديلة عن الخدمة العسكرية الإلزامية، حيث يقوم المنتسب لصفوف هذه الخدمة بتأدية أعمال في مؤسسات عامة. وتم تشريع قانون لهذه الغاية تحاول حكومات إسرائيل بين فترة وأخرى تطبيقه على المجتمع العربي، كما تحاول تطبيقه على المجتمعات اليهودية المتدينة التي في غالبيتها ترفض ذلك، حيث ينتشر هؤلاء الموظفون في المدارس والروضات للقيام بفعاليات وأنشطة لا منهجية، توجهاتها دينية غير مباشرة في معظم الحالات.

وفي تعمقنا بالتقرير الأخير الصادر عن معهد «مولاد» للبحوث، والمخصص لتغلغل المنظمات والمؤسسات الدينية الصهيونية في جهاز التعليم في إسرائيل، بمعرفة وبركة وزارة التربية والتعليم، وحزب البيت اليهودي، تبين أن الهدف هو تعزيز حضور ووجود تيار الصهيونية الدينية الذي يمثله هذا الحزب، والتأثير لاحقاً على الأجندة التعليمية والسياسية في إسرائيل. ولاحظنا، أيضاً، أن هدف هذه الجمعيات ليس جذب الطلاب والشباب اليهودي للعودة إلى أحضان الدين، إنما لأهداف سياسية، وفي مقدمتها تعزيز الاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وهذا ما يؤكد العلاقة الوطيدة بين التغييرات في مناهج وكتب التعليم، وبين تعزيز المشروع الاستيطاني الإسرائيلي في فلسطين، وعلى وجه الخصوص في الضفة الغربية. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن ارتباط المشروع الاستيطاني بالضفة الغربية نابع من الادعاء بعلاقة رجالات من التوراة بهذه المنطقة.

الطريقة التي تعتمدها وزارة التربية والتعليم من خلال استخدام خدمات خارجية (أي من خارج الوزارة) هي لكسب الطلاب، وجربهم بطريقة تعليمية وفعاليات نحو أهداف سياسية. ويشير تقرير معهد «مولاد» إلى أن هدف تيار الصهيونية الدينية هو خلق أجواء مقنعة للطلاب بأن المشروع الاستيطاني هو شرعي. وتعلم الأحزاب الصهيونية الدينية، على وجه الخصوص، أن الحاجة قوية لكسب تأييد القاعدة الشعبية لهذا التوجه. ولن ينجح المشروع في تحقيق هدفه إلا عن طريق كسب ود وميل الطلاب تدريجياً، من خلال نصوص تعليمية في الكتب الرسمية والمصادق عليها من قبل الوزارة، وأيضاً من خلال رزم الفعاليات المنفذة في المدارس في التعليم الرسمي العلماني، باعتبار الطلاب استثماراً مستقبلياً يجب العمل عليهم حالياً.<sup>1</sup>

1 عيدو غولدربرغ، تدين؟ هذا ما يشعر به الطرف الخاسر، موقع زاوية أخرى، 2017/7/5. goo.gl/u1FJHG



هكذا، تساهم وزارة التربية في إسرائيل في تعزيز مسألة «الهوية اليهودية» في أوساط طلاب التعليم الرسمي العلماني، من خلال موافقتها ومصادقتها وتحويل ميزانيات لطرف ثالث للقيام بالدور التعليمي والتوجيهي.

ويشير التقرير ذاته إلى مطالبة منظمة «زهوت» لمزيد من الميزانيات لتنظيم فعاليات تتعلق بالتربية على الزراعة في المستوطنات، كجزء من تطوير هذا الفرع الاقتصادي. لكن القصد ليس اقتصادياً بقدر ما هو سيطرة على مزيد من الأرض الفلسطينية في الضفة الغربية المحتلة، وأيضاً لتصوير العودة إلى الأهداف القديمة للمشروع الصهيوني، وهو العمل العبري في الأراضي العبرية.<sup>1</sup> وتجدر الإشارة، هنا، إلى أن وزارة الزراعة تُشكل عملياً، الذراع الأطول للاستيطان اليهودي في الأرض الفلسطينية.

وهذا ما يعتبره معهد مولاد «إعادة التربية من جديد لقيم صهيونية قديمة - بصبغة دينية»، من خلال استغلال الائتلاف الحكومي الذي يشارك فيه حزب البيت اليهودي، ومن خلال تولّي زعيم هذا الحزب لحقيبة التربية والتعليم.

وهناك جمعيات أخرى تعمل بالتنسيق مع وزارة التربية والتعليم بهدف تشجيع وتبني فهم أفضل لتيارات يهودية محافظة، وتشجيع الشباب على فهم وتذويت التراث اليهودي. ومن بينها مشروع «مأراج» الذي ينشط منذ عقد ونيف بموافقة الوزارة. ولا يقتصر نشاطها على المرحلة العمرية الابتدائية، إنّما يُغطي كل المراحل التعليمية. ويركز المشروع على نشاطات تُعزّز علاقة الطالب اليهودي في التعليم الرسمي العلماني مع روزنامة الأعياد اليهودية على مدار السنة، وكيفية الاحتفال بالأعياد اليهودية، وتشكيل طواقم من الطلاب تدعم نشاطات المشروع. والهدف المركزي لهذه المشاريع هو نشر التربية اليهودية والصهيونية في المدارس. ومن الطبيعي أن تكون هناك معارضة من قبل شرائح من الأهالي على عملية التدين في المدارس العلمانية. لكن بمقارنة نشاط المعارضة لمثل هذه الفعاليات والمشاريع، مع ما تقوم به الجمعيات والمؤسسات، يتبين ضعف وترهل التيار العلماني الصهيوني في إسرائيل في التصدي لها.<sup>2</sup>

1 عيدو غولدبرغ، مصدر سابق.

2 أفرات نومبرغ يانغ، مصدر سابق.

## موقف المجتمع في إسرائيل وردود فعله

يشير أحد كبار فقهاء القانون في إسرائيل وهو البروفيسور مردخاي كرمنتسير، إلى أن الخط الفاصل بين تعليم المبادئ السياسية وبين المعرفة، رفيعٌ للغاية، وهو مرتبط بهوية المرء/ المعلم الذي يمارس مهنة التعليم فعلياً. وبحسب كرمنتسير، فإنَّ قانون التعليم الرسمي يوضح هدفه على النحو التالي: «تربية الإنسان على محبة الإنسان ... الذي يحترم أهله وعائلته، وتراثه، وهويته الثقافية ولغته، وتعليم توراة إسرائيل وتاريخ الشعب اليهودي، وتراث إسرائيل والتقاليد اليهودية»<sup>1</sup>. ومن يدقق في هذا الهدف من القانون لن يلاحظ ورود أي كلمة أو نص صريح بتعليم الدين. ولكن مجموع هذه الأمور كلها تصب في حركة تعليم الدين اليهودي، لأنها مرتبطة به تماماً.

ومن هنا، عبّر 30% من الأهالي من ذوي الثقافة الأكاديمية عن مخاوفهم من أن مظاهر التدين بأشكالها كافة تُحدث تحولاً في نهج حياة أولادهم، في حين أن 20% من الأهالي، ممن ليسوا أكاديميين، عبّروا عن مخاوف مشابهة<sup>2</sup>، دون أي تعليق أو تفسير لهذه الحالة. لكن، بالمجمل، فإنَّ نسبة مرتفعة من أهالي الطلاب المحسوبين على التيار العلماني، أظهرت تخوفها من الوضع الحاصل في جهاز التعليم. بالمقابل، فإن 44% من الأهالي في الاستطلاع نفسه، يدعون أن زيادة مواضيع التعلم في مجالات التراث والثقافة اليهودية حتماً تكون على حساب مواضيع أخرى، وفي مقدمتها الرياضيات واللغة الإنجليزية.

ويبدو أن التدين الآخذ بالزيادة والاستفحال في مدارس كثيرة قد دفع مجموعة من

1 تقرير كرمنتسير على موقع وزارة التعليم، 2017/12/21، goo.gl/6R5UxJ

2 وفقاً لاستطلاع رأي أجره معهد «بانيم» لتقصي واقع «حالة التدين في جهاز التعليم في إسرائيل». وأيضاً ما كتبه شموئيل روزنر في معاريف، 2017/9/26، مصدر سابق.

الأهالي، وبخاصة في تل أبيب وضواحيها، إلى تأسيس «المنتدى العلماني» لمواجهة هذه الظاهرة والتصدي لها والحد منها. وفي اللقاء التأسيسي الذي عقده المبادرون لهذا المنتدى، أشاروا إلى أن أول نشاط لهم بعد التأسيس سيكون دراسة جادة وعميقة لمظاهر التدين في الكتب التعليمية، والفعاليات والأنشطة ذات الصبغة الدينية التي تنظمها جمعيات مصادق عليها، وممولة من قبل وزارة التربية والتعليم.

مؤسس المنتدى د. رام فرومان، وهو حائز على درجة الدكتوراه في التاريخ من جامعة باريس، أشار إلى أنه من حق الأهالي منح أبنائهم التعليم الذي يريدونه وبصورة مناسبة لتوجهاتهم الحياتية، وهو يقصد العلمانية.<sup>1</sup> واعتبر فرومان أن العلمانيين هم أقلية عليها مواجهة هذا المد الديني في جهاز التعليم. وفي تعبيره هذا ما يبين حالة الضعف واللامبالاة التي استولت سابقاً على العلمانيين مقابل ازدياد نشاط المتدينين والحركات والجمعيات التي تعمل في ظلهم.<sup>2</sup>

ويسود الاعتقاد في أوساط أعضاء هذا المنتدى إلى أن تفشّي ظاهرة التدين بهذا الحجم وبهذه السرعة مصدره من يقف على رأس هرم جهاز التربية والتعليم؛ ألا وهو الوزير بينيت زعيم حزب البيت اليهودي، وحامل أجندة سياسية واضحة.

ما يُصرّح به أعضاء هذا المنتدى أن هناك طرفاً عدّة لأن يكون الإنسان، وبهذه الحالة الطالب، يهودياً. ومعنى ذلك رفض إلزام الطالب ببرنامج فيه إشارات ودلالات دينية، أو نشاط يقصد بطريقة غير مباشرة بث فكر ديني في نفوس وعقول الطلاب. وهذا يعني طرح التيار العلماني لتعددية تعليمية من خلال مناهج وبرامج وكتب التعليم في المدارس الرسمية. وبالتالي، يناقشون مسألة العودة إلى ما كان قائماً إلى ما قبل هذه الظاهرة من مناهج وكتب تعليمية.

موقف التيار العلماني عدم رفض تعليم التراث اليهودي، ولكن ليس بطريقة تؤدّي إلى ارتباط الطالب بالدين اليهودي؛ أي أن التيار العلماني يدعو إلى تعليم ثقافي عن اليهودية،

1 موقع المنتدى العلماني، 2016/5/22. goo.gl/qBN1FJ

2 عران كمينسكي، 2016/12/19. goo.gl/BPvn3e

وليس تعليمياً دينياً.<sup>1</sup>

وفي خضم هذا الصراع، فإنّ مواقف الأهالي في هذا التيار هي صراعهم على النصوص وتطبيق النصوص على أرض الواقع. والنصوص المقصودة هي الواردة في الكتب التعليمية المصادق عليها من قبل الوزارة والمعتمدة في المدارس الرسمية وغير الرسمية. ومن هنا، فإنّ هذا المنتدى يعكس شكلاً من أشكال الاحتجاج على نصوص تعليمية وطريقة عرضها في الكتب، وطريقة التعامل معها فعلياً. ولا يكتفي المحتجون في هذا المنتدى بطرح مشروعهم، بل يؤكدون على أنّ ما يجري في العالم من أحداث، هو أمرٌ مهم للغاية، ويجب التعامل معه في الأطر المدرسية، وليس الاكتفاء بتديد صلوات وترانيم دينية.

إنّ مطالبة المنتدى العلماني لإعادة جهاز التربية والتعليم إلى أسسه السابقة لدليل واضح على الأزمة التي يعيشها أولاً المجتمع في إسرائيل، من خلال الصراع بين المتدينين وبين العلمانيين. وثانياً هيمنة التيارات الدينية على مختلف توجهاتها على أجهزة الدولة، وإخضاعها لمنظومة الشريعة الدينية اليهودية.

هذا الصراع يتم التعبير عنه من خلال مناهج وكتب التدريس في حالتنا، وتتسع دائرته لتشمل قطاعات في المجتمع تسعى إلى الدفاع عن أحيائها وأمط تفكيرها وطرائق حياتها. فالعلمانيون يعتبرون أنفسهم ورثة مؤسسي دولة إسرائيل لتكون علمانية وتحترم التيارات الدينية، ضمن ما تفاهمت عليه الأحزاب والتيارات السياسية والدينية أيام حكومات إسرائيل الأولى التي ترأسها دافيد بن غوريون.<sup>2</sup>

ولكن أموراً كثيرة تبدلت في السياقات السياسية في إسرائيل، وعلى وجه الخصوص منذ صعود التيارات الدينية المتزمتة وتمسكها بثوابتها ضمن ائتلافاتها في تشكيل الحكومات المتعاقبة، ما منحها قوة ونفوذاً سياسياً ومالياً واسعين جداً.

وامتدت الصراعات لتشمل أيضاً منظومة التعليم، وإخضاعها لهذا التيار بأساليب ناعمة

1 المصدر السابق.

2 Ismael Abu – Saad, (2006). "Palestinian education in Israel: The Legacy of the Military Government". Holy Land Studies: a Multidisciplinary Journal, 5 (1), pp. 56.

في غالب الأحيان، كما رأينا في نشاط الجمعيات والمنظمات الفاعلة في المدارس لتعليم تراث إسرائيل أو التراث اليهودي.

الخلاصة في هذا السياق، مطالبة المنتدى بتعليم على أسس قيم الليبرالية والتعددية والإنسانية العالمية، وليس حصراً تلك الوارد ذكرها في النصوص الدينية، وفي مقدمتها التوراة. في حين أنّ التيار الديني يسعى إلى تطبيق القيم الوارد ذكرها في النصوص الكتابية من توراة، ومشناه، وتلمود، ... وغيرها.

## موقف وزارة التربية والتعليم في إسرائيل

تقوم وزارة التربية والتعليم في إسرائيل بمهمتين ذات صلة بموضوعنا حصرياً، الأولى مراجعة الكتب التعليمية والمصادقة عليها أو عدمه، والثانية تخصيص ميزانيات وتحويل مبالغ مالية لجمعيات ومنظمات تقوم بمهام تعليمية كطرف ثالث في المدارس والمؤسسات التعليمية في إسرائيل. وبطبيعة الحال يؤخذ بعين الاعتبار تلك الميزانيات التي تُحوّل إلى الأحزاب والجمعيات المرتبطة بالأحزاب الدينية التي تشكل الائتلاف الحكومي في إسرائيل عشية الانتخابات البرلمانية للكنيست الإسرائيلي.

وموجب هذا التوجه، فإن وزارة التربية حوّلت 90% من مبلغ 31 مليون شيكل في العام 2015 لصالح منظمات يهودية أرثوذكسية (أي تلك التي تسير وفقاً للخط الديني العام والسائد والمتشدد أيضاً)، وهو الخط المتماهي مع الصهيونية الدينية والمرتبطة، أيضاً، بحزب البيت اليهودي مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، في حين أنّ 10% من المبلغ (أي المتبقي) يتم تحويله إلى منظمات تدعو إلى التعددية في التعليم. هذا ما رشح عن نتائج استطلاع وبحث أجراه معهد «بانيم» المشار إليه سابقاً في هذه الورقة.

لكن في موازنة 2016/2017، تمّ رصد 210 ملايين شيكل، أي سبعة أضعاف المبلغ السابق في عام واحد سبقه. وهذا دليل قاطع على قدرة حزب البيت اليهودي تحويل مبالغ يتم بواسطتها فرض أجندات سياسية ودينية، بطبيعة الحال، على مستويات مختلفة في وزارة التربية والتعليم، ومن بينها الكتب التعليمية ونشاطات الجمعيات.

بالتوازي مع سياسات الوزارة المالية في هذا الجانب، فإن الوزارة، وعبر موظفيها الكبار،

تعلن أنّها تعمل ضمن رؤيا وضعتها الدولة، منذ تأسيسها بأنها دولة يهودية وديمقراطية، وأنّ الوزارة مقيّدة بالعمل وفقاً لهذه الروح. لكنّ الواقع على الأرض هو خلاف ذلك، إذ الملاحظ تعمّق الفجوات الفكرية والعملية بين التيارين العلماني والديني، ومزيد من هيمنة وتغلغل الفكر الديني في قطاعات تربوية وتعليمية متنوعة، من أبرزها المدارس على مراحلها المختلفة.

بعض رجال التربية في إسرائيل خرج ضد مصطلح ومفهوم «التديّن»، ومنهم من أشار بأصبعه إلى أنّ المصطلح من صنع «السوسيولوجيين المعاصرين»<sup>1</sup>. ومن بين رافضي طرح تغلغل ظاهرة التدين في الوزارة، د. رون مرغولين؛ وهو محاضر في جامعة تل أبيب، وواضع المشروع التعليمي «ثقافة يهودية إسرائيلية» من قبل وزارة التعليم في إسرائيل. ادعاء مرغولين أنّ ظاهرة التدين وما يدور من حوالها من نقاشات ونشاطات داخل أروقة المدارس أو خارجها ليست حديثة العهد، إنّما هي قائمة وموجودة داخل المجتمع في إسرائيل. وأشار، أيضاً، إلى أنّ ظاهرة حضور الفتيات ضمن الخدمة الوطنية ليست حديثة هي الأخرى، بل إنّها موجودة من سنوات طويلة. ولذلك، فوزارة التربية على علم بها، وتعمل على مراقبتها ومتابعتها كي لا تفرض أجندتها فوق أو بدل أجندة الوزارة نفسها. لكن كلاماً كهذا يبقى في الصفة الرسمية، والرافض لقبول الواقع الحاصل من انتشار ظاهرة التدين في المدارس، ودليل على ذلك تضاعف الميزانيات المخصصة لتطوير وتعزيز الظاهرة في الأطر المدرسية، لكونها -أي الأطر المدرسية- هي الفرصة الوحيدة تقريباً التي يُمكن بواسطتها، ومن خلالها، نقل مفاهيم يهودية دينية وسياسية، وبالتالي جذب الطلاب للانضمام إلى تيار ديني أو للانضمام تحت مشروع الاستيطان الصهيوني في الضفة الغربية. فالمشروع الاستيطاني بحاجة ماسة إلى قوى بشرية، وهذه أحد المواقع التي يمكن من خلالها الاستفادة الفعلية، إضافة إلى الاستفادة من تجنيد التعليم بمكوناته كافة لخدمة المشروع الاستيطاني.

ويبدو لنا ذلك التخبط الحاصل في وزارة التعليم؛ إذ إنّ المشروع الذي ترأسه وأشرف عليه مرغولين كان هدفه تعليم تراث إسرائيل مقابل التيارات الدينية التي كانت تهدف إلى تدين هذا التراث. وإذ يتعرض مرغولين ومشروعه إلى تهمة طرح مشروع «تديّن»

1 من موقع أحداث أخرى: ثقافة يهودية من زمن لآخر، مصدر سابق.

لتدريسه في المدارس الإسرائيلية الرسمية، ما يعني، بالتالي، أنّ مواقف الوزارة تحمل في جنباتها مساحات واسعة من البلبلة في طرحها التعليمي والتربوي. ففي الوقت الذي تطرح فيه مشروعاً لحماية التراث اليهودي الإسرائيلي من التدين، تتهم بأنّها تسعى إلى فرض التدين بواسطة ميزانيات تخصص لهذه الغايات بصورة غير معلنة رسمياً، وأيضاً من خلال الكتب التعليمية المصادق عليها من طرفها.

وتتمسك الوزارة بأنّ مشاريعها التعليمية تسعى إلى تجديد تعليم موضوع التراث اليهودي، وليس إلى تحويله إلى موضوع ديني، ولا أن تفرض العقيدة الدينية أو مواضيع دينية على الطلاب من خلال المناهج أو الكتب التعليمية.

الواقع، أنّ هذه الوزارة تسير على حبل رفيع في هذه المسألة، فالمصريح عنه شيء، والمطبق شيء آخر في معظم درجاته. وهذا ما سنبينه بعمق من خلال تطرقنا إلى مضامين ومحتوى الكتب التعليمية التي قام أعضاء مهنيون في المنتدى العلمي بفحصها والتثبت من كونها لا تحتوي على تدين مفرط أو شاذ عن القاعدة، أو المستوى المطلوب الذي يرضيهم بطبيعة الحال كأهالٍ لطلاب يتعلمون في التعليم الرسمي العلماني.<sup>1</sup>

وحتى هذه اللحظة، أي لحظة كتابة هذه الورقة، لم تعترف الوزارة بوجود ظاهرة التدين، بل تعتبرها زوبعة في فنجان، مُعلّلة الاحتجاجات والمقالات التي ينشرها المنتدى العلماني بأنّ لها مقاصد نفعية في الأطر السياسية على وجه الخصوص.

وعلى الرغم من هذا الموقف الراض للاعتراف بوجود ظاهرة التدين، فإنّ الظاهرة موجودة، وإن كانت من فترة طويلة، لكنها بدأت تصطبغ بالألوان السياسية والحزبية والابتزازية للأحزاب الدينية في إسرائيل.

1 أفرات نومبرغ يونغر، مصدر سابق.





## «التدين» في برامج ومشاريع التعليم

تكثُر البرامج والمشاريع التعليمية على صفحات موقع وزارة التعليم في إسرائيل، ويمكن تصفحها ومعرفة إلى أي درجة بلغ تأثير التيارات والأحزاب الدينية في جهاز التعليم. ويمكننا تحديد هذه الظاهرة زمنياً منذ العام 2014. قبل هذا العام، انحصرت المشاريع في عدد محدود نسبياً. لكن ابتداءً من العام 2017، اتسعت رقعة المشاريع، ومنها ما تمّ وضعه بالتنسيق بين طواقم من الوزارة وطواقم من منظمات وجمعيات دينية، أو تعمل لصالح جمعيات ومنظمات دينية. يمكننا الإشارة هنا إلى منظمة «حباد»، وأيضاً إلى «المدارس الدينية المنظمة». هذه المنظمات تدخل إلى المدارس بدعوة من مديرها الذين يطلعون على المشاريع عبر موقع الوزارة.

إذن، هناك تعاون معلن بطريقة أو بأخرى بين وزارة التعليم وبين هذه المنظمات التي تحمل في طياتها عقيدة دينية واضحة. وهذه المنظمات تنقل مضامين تعزّز الهوية اليهودية<sup>1</sup> للطلاب في المدارس على مراحلها المختلفة.

يتوفر في مجمع النشاطات على موقع الوزارة قرابة 1500 مشروع وفعالية. ثلث هذه المشاريع يتم تفعيله بواسطة مندوب مرافق ومجاز من قبل وزارة التعليم، والثلثان الآخران من منظمات وجمعيات خارجية، أي تقدم خدمات مقابل مخصصات مالية.<sup>2</sup>

والقاسم المشترك بين هذه الجمعيات والمنظمات هو بناء وتعزيز الهوية اليهودية،

1 ليثور ديتل، مصدر سابق.

2 حول نشاطات وفعاليات تقدمها وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية، يمكن الاطلاع على رزمة متنوعة منها على موقع الوزارة. [goo.gl/FS9uGs](http://goo.gl/FS9uGs)

وتقريب الطلاب من التراث الإسرائيلي. ويمكن ملاحظة العناصر الدينية البحتة في هذه الفعاليات، ومن أبرزها تدريب الطالب اليهودي على استقبال التوراة في الصف الثاني من المرحلة الابتدائية. وكذلك تحضير الطالب لاحتفال البلوغ والمعروف باسم «بار ميتسفا» ... .

ويتم، أيضاً، تنظيم استقبال السبت في أحد الأسابيع من خلال السنة، بحيث يقوم بذلك كل الطلاب اليهود في العالم في الوقت ذاته ... وأحياناً يأتي على حساب دروس أخرى للمواءمة بين المواعيد. والهدف من وراء ذلك هو إظهار الوحدة بين اليهود في كل أنحاء العالم .. وتتم أيضاً عملية إضاءة شموع استقبال السبت في المدرسة.<sup>1</sup>

ولمّا طرحت وزارة التعليم الإسرائيلية تخصيص العام الدراسي للقدس، بادر عدد كبير من المعلمين المتماثلين مع التيارات الدينية إلى طرح فكرة ضرورة إعادة بناء الهيكل الثالث، وذلك أمام طلاب المدارس في التعليم الرسمي العلماني.

وفي عدد من المدارس المذكورة، تمّ تمرير فعالية ترتيب الجدول الزمني في تاريخ شعب إسرائيل، بحيث تطرح بطاقات أمام الطلاب، ويطلب منهم ترتيبها زمنياً، من أيام إبراهيم النبي، وصولاً إلى بطاقة «حق اليهود الإلهي على الأرض».<sup>2</sup> وهذه عملياً تدّين في التوجه، ويحمل في خباياه أجندة سياسية. في حين أنّ التيار العلماني يشير إلى أنّ هيئة الأمم المتحدة هي الجهة التي اعترفت بحق الشعب الإسرائيلي في إقامة دولته بموجب قرار التقسيم من العام 1947.

وفي تعقيب لوزارة التعليم على لسان رون مرغولين واضع مشروع «تعليم ثقافة يهودية إسرائيلية» يقول: «وضعنا قيماً في صلب المشروع، وليس معتقدات دينية».<sup>3</sup> لكن واقع الأمر مغاير لما يدعيه مرغولين، إذ إنّ ملاحظات وشكاوى الأهالي على هذه المشاريع آخذة بالزيادة، ولها دلالاتها في السنوات الأخيرة؛ سواء على المشاريع المنهجية (أي ضمن حدود ما يفرضه المنهاج التعليمي) أو لامنهجية بما تقوم به جمعيات ومنظمات مصادق عليها.

1 بنيف مشباح، كاشير بإشراف وزارة التعليم، جريدة «يسرائيل هيوم»، 2017/1/26، goo.gl/uE1P7a.

2 المصدر السابق.

3 ثقافة يهودية من وقت لآخر، مصدر سابق.

أما موقف المنتدى العلماني من هذه المشاريع، فيمكن أن نستشف منه ما يأتي:

- ادّعاؤهم، بالاستناد إلى فحص وتحقيق شامل قام به أعضاء مهنيون في المنتدى، لمشاريع وكتب تعليمية على مختلف المستويات التعليمية، تبين أن الجهاز التعليمي يتأثر، في الآونة الأخيرة، بشكل قوي، بالتيارات الدينية.
- تشويش التوازن بين التعليم العام المؤسس على الثقافة اليهودية، وبين التعليم الديني. ويتعزز هذا الادّعاء بأنّ كتب تعليم التاريخ والأدب العبري يكثر فيها ميل إلى نصوص وأحداث دينية من التاريخ اليهودي، أو من الاستناد إلى النصوص الدينية.
- تكثر في المشاريع والبرامج التعليمية، وأيضاً ينعكس الأمر في الكتب التعليمية ظاهرة الإثتوقراطية، أي التشجيع على الاعتماد على المصادر اليهودية وكأنّها مركز العالم، وأنّها تحمل القيم التي يحتاج إليها الإنسان دون الاعتماد على قيم عالمية. بمعنى آخر، الادعاء هنا هو تغليب المصادر اليهودية في هذا الميدان على مصادر عالمية.
- البرنامج يتضمن نصوصاً توراتية أو لربانيين يهود، وليس نصوصاً حديثة ومعاصرة. والنصوص التوراتية أو الربانية تُعالج قضايا طقوس وصلوات بالفعل، وليس من باب المعرفة ونقل معلومات. وهذا ما أثار حفيظة الأهالي؛ بأنّ طلابهم ينكشفون على عالم الديانة اليهودية من مدخلها الطقسي، وليس الثقافي كما هو واجب العمل به في المدارس العلمانية.
- وأشارت تحقيقات وبحوث المنتدى إلى غياب، أو بالأحرى، انحسار عدد النصوص غير اليهودية في المشروع التعليمي المشار إليه أعلاه.
- وأشارت هذه التحقيقات إلى الخلط الحاصل بين القيم الإنسانية والطقوس والفلكلور، وعدم التمييز فيما بينها، بكون كل منها حقلاً معرفياً منفصلاً.
- يدّعي منتقدو هذا المشروع أو البرنامج التعليمي، أنّ مضامينه تتطرق إلى الجوانب الإيجابية والجميلة في اليهودية، دون عرض الصور والجوانب المظلمة التي فيها. بمعنى آخر، انحياز ظاهر إلى جانب معين دون الآخر.

- تفضيل الهوية اليهودية<sup>1</sup> على هويات أخرى جامعة للمجتمع في إسرائيل. وهذا بحد ذاته موضوع للنقاش، حيث إنَّ التوجه في أوساط التيار الديني نحو طريق أو منهج أحادي، في حين أنَّ التيار العلماني يقبل، بل ينادي، بتوجهات متعددة ومنوعة كالإسرائيلية، واليهودية، والعلمانية، والصهيونية، والغربية، والشرق أوسطية ... وعدم حصر البرنامج في قطاع ما.
- يدّعي العلمانيون في معرض نقدهم لهذا المشروع، وطبعاً لغيره، أنَّ الوزارة في طروحاتها الأخيرة، من خلال المناهج والكتب التعليمية، تميل إلى تشويه الإسرائيلية التي كونتها الدولة في سنواتها الأولى كـ «أتون صهر» للمجتمع في إسرائيل. والهدف من أتون الصهر تكوين الإسرائيلي الواحد. لكن، وعلى ما يبدو، في الحد الأدنى من خلال هذا النقاش هناك شرح واسع داخل المجتمع في إسرائيل. فهذا الأتون لم يعد مقبولاً، أو بالأحرى بيّن فشله وتراجعته عن جذوره وعن المبتغى من ورائه.<sup>2</sup>

1 هذا ما يطرحه «قانون القومية» الذي شرّعه الكنيست الإسرائيلي في 19 تموز 2018.

2 أفرات يونغر، مصدر سابق.

## العلمانيون في مواجهة الدين

مواجهة التيار العلماني لظاهرة الدين ليست جديدة، لكنها بدأت تأخذ في الآونة الأخيرة منحى آخر مختلفاً نوعاً ما عما كان في الماضي جرّاء تغلغل كبير للتيارات الدينية في وزارة التعليم في إسرائيل، وتأثيرها الفعلي على مناهج وكتب التعليم، إضافة إلى تأثيرها الواسع على الفعاليات والأنشطة والبرامج التعليمية اللامنهجية والمرفقة مع المناهج المعتمدة من قبل الوزارة.

ما يريده العلمانيون هو أنّ من يضع صياغة المنهاج التعليمي أو من يصادق على الكتب التعليمية ألا يكون ذا ميول دينية أو مقرباً من التيارات الدينية بشكل أو بآخر. بمعنى آخر، إنّ التوجه الذي يريده العلمانيون هو الذي يأخذ بعين الاعتبار تطلعاتهم إلى شكل ومضمون تربية أبنائهم، وإكسابهم مهارات تعليمية معاصرة ومنفتحة على حضارات وثقافات أخرى، وغير محصورة في دوائر الديانة اليهودية وكتبها الدينية، وعلى رأسها التوراة.

لكن هذا الأمر فيه مرونة ما، أو كونه مطاطياً. فحين يكون الوزير من تيار أو حزب صهيوني علماني كما كان يوسي ساريد، فإنّ المضامين والبرامج تميل إلى العلمانية أكثر بكثير من أن تكون وسطية. وعندما يتولى الوزارة وزير متدين كنفثالي بينيت في الحكومة الحالية، فإنّ الوزارة تنحو نحو مزيد من الأسس الدينية في برامجها ومناهجها وحتى في كتبها، كما سنرى نماذج لذلك في البند الرابع عشر من هذه الورقة.

ولا بدّ من الإشارة، هنا، إلى غياب توجه موحد بالتمام للبرامج التعليمية، وكذلك الكتب

التعليمية، وهذا مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمشهدية السياسية والحزبية التي تكون إسرائيل. وبالتالي، فإنَّ جهاز التعليم في إسرائيل ليس حيادياً، إنّما منحاز للتوجهات السياسية التي تُشكل الحكومة من خلال ائتلافها الحزبي.<sup>1</sup>

ومن جهة أخرى، فإنَّ توجهات الدولة نحو مسaire المتدينين تخلق واقعاً تعليمياً تنتشر فيه مركبات ومكونات دينية. وتظهر هذه في مناهج التعليم والكتب التعليمية والبرامج المرفقة داخل أطر الوزارة.

فالتحرُّك الذي يُشرف عليه المنتدى العلماني مدعوماً من شرائح واسعة من العلمانيين ونواب برلمان، يهدف إلى إعادة بناء بوصلة واضحة لتعليم عدد من المواضيع وضمن سياقات ثقافية وليست دينية بالمرّة.

وعقد المنتدى مؤتمره الأول في نهاية شهر تشرين الثاني 2016، مُطلقاً مسيرة المواجهة بينه وبين الوزارة وأطراف أخرى ذات تأثير على جهاز التعليم. ومن بين أشهر المطالب التي طرحها المنتدى، المطالبة بتأسيس منظومة تعليم علمانية مستقلة بالكامل عن الوزارة؛ أي الدعوة إلى شكل من أشكال الاستقلالية الثقافية. وهذا باعتقادنا القاطع لا توافق عليه أي حكومة في المنظور القريب، لأنَّ جهاز التعليم في إسرائيل هو قناة أيديولوجية تتحكم بها الدولة من خلال المناهج والكتب والبرامج والفعاليات التي تقوم بها أو تُصادق عليها، ما يعني، بالتالي، استمرار إخضاع الجهاز لأسس الرقابة غير المعلن عنها وغير المباشرة. وبرأينا أيضاً، أنّ جهاز التعليم هو عبارة عن أداة يمكن بواسطتها للدولة بسط هيمنتها الفكرية وتوجيه الرأي العام لخطوطها وتوجهاتها السياسية.

وباعتقادنا، أيضاً، أنّ مؤسسي المنتدى يعلمون بالتمام أنّ استقلالية ثقافية بهذا الشكل لن تحدث، لكنهم في الحد الأدنى يطالبون بإلغاء مجموعة من الكتب التعليمية، وينادون بإعادة النظر من جديد بالمناهج والبرامج المُصادق عليها من قبل الوزارة.

بالمقابل، فإنَّ الوزارة تمنح مديري المدارس نوعاً من الاستقلالية في الإدارة المالية في عدد من المدارس، على قاعدة السوق المؤسَّسة على العرض والطلب. وهذا ما يدفع بالمديرين

1 شموئيل روزنر، مصدر سابق.

إلى اختيار هذه الجمعية دون غيرها وفقاً لما تقدمه من عروض بيع لفعاليتها ونشاطاتها التربوية، والتي أشرنا إلى عدد منها في بنود سابقة من هذه الورقة.

ويتوجب التنويه هنا إلى أن المنتدى العلماني لا يرفض قطعياً مسألة تعليم اليهودية، إنما ليس اليهودية الدينية، بل اليهودية العلمانية المؤسسة على الثقافة التي أنتجتها اليهودية عبر الأزمان، وبخاصة في أوروبا، متأثرة بطبيعة الحال بالمتغيرات التي اجتاحت أوروبا في القرن التاسع عشر على وجه الخصوص، وحولت مجتمعاتها تدريجياً إلى علمانية، مع الإبقاء على الدين المسيحي بحسب الكاثوليكية مساراً دينياً منفصلاً عن الدولة.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى توجهات العلمانيين نحو فصل قاطع بين اليهودية الليبرالية وبين اليهودية الدينية؛ أي أن يكون التعليم عن اليهودية ليس بالممارسة الفعلية في أحضان المدرسة، على أن تكون الممارسة في الكنيس خارج المدرسة. في حين أن التيارات الدينية تمارس تعليم اليهودية الدينية في المدرسة، وأيضاً تمارس طقوسها الدينية في المكان ذاته.<sup>1</sup>

الطرح الذي تقدّمه رينا ليفانوف من مؤسسي موقع «بيننا - لتعليم اليهودية الاجتماعية»، يميل إلى الفصل بين التعليم الثقافي والتعليم الديني لليهودية. والمنطلق أن هناك أحياناً واسعة لتعليم اليهودية بتيارات فكرية مختلفة، دون فرض تيار أحادي الاتجاه، كالتيار الديني مثلاً.

وهذا ما يوجه المنتدى الذي أسسه فرومان، بأن المطالبة هي بوضع مناهج لتعليم اليهودية بعيداً عن التدين، ومضامين الكتب التعليمية، ونوع الجمعيات والمنظمات التي تشارك في العملية التعليمية في المدارس وفقاً لاحتياجات المدرسة.

1 رينا ليفانوف، أي نوع من اليهودية يواجه الطلاب في المدرسة؟، موقع «بيننا - لتعليم اليهودية الاجتماعية»، 2016/11/27. goo.gl/CHUr97





## نماذج من التدوين في كتب التعليم والأنشطة المرفقة

قام المنتدى العلماني بمراجعة أكثر من 80 كتاباً تعليمياً مُصادقاً عليها من قبل وزارة التعليم في إسرائيل. والكتب التي تمّت مراجعتها مُعدّة للمرحلة الابتدائية في التعليم الرسمي في المواضيع كافة التي تبلور الهوية لدى الطالب اليهودي. واطلنا بدورنا على عدد كبير من هذه الكتب لغرض إتمام إعداد هذه الورقة. وتبيّن أنّ الكتب التي تمّت مراجعتها جيدة للتعليم في معظمها إذا تمّ إخراج كل العبارات والفقرات التي تشير بصريح العبارة إلى الدين كمسألة السبت، والأعياد، وطريقة الاحتفال الديني بها.<sup>1</sup>

وللتوضيح، بالنسبة للمواضيع التي تبلور الهوية فهي: اللغة العبرية والأدب، والتوراة، والعلوم، والمدنيات والموطن، والتاريخ والجغرافيا، وكتب التراث.

أمّا ما تمّ فحصه، فكان محصوراً في أمرين اثنين، وهما: الأول: هل هناك مركبات/مكونات دينية مقصودة؟ الثاني: هل الكتاب مناسب/ملائم لتعليم الطلاب العلمانيين فيه؟

من نتائج الفحص والتدقيق لهذه المجموعة الكبيرة من الكتب، تبيّن أنّ هناك تكراراً مستمراً في الكتب في عملية الانتقال من صف إلى آخر لكيفية الاحتفال بالطقوس الدينية، إضافة إلى نصوص من مصادر يهودية ذات صبغة دينية صرفة. فمثلاً، في تعليم اللغة العبرية، هناك استشهادات مستمرة من مصادر يهودية من عصور سابقة تحتوي على مكونات دينية. والادعاء لدى فاحصي الكتب أنّه يمكن الاستعانة بمصادر حديثة

1 أوسنات سبرون، في أعقاب فحص الكتب التعليمية: استنتاجات وتوصيات، في موقع المنتدى العلماني، 2017/7/22. [goo.gl/5yceph](http://goo.gl/5yceph)

ومعاصرة تمنح الطالب المعرفة ذاتها، دون الحاجة إلى مشاهد دينية أو تلميحات دينية مباشرة أو غير مباشرة.

ومن بين النتائج الأخرى التي توصل إليها فاحصو الكتب من أعضاء المنتدى العلماني، أن إقحام نصوص أو تلميحات دينية ليست مسألة عابرة في كتاب تعليمي معين، أو في فصل من كتاب، إنما المسألة منهجية ومستندة إلى أيديولوجيا أساسية تهدف وفقاً لما يعتقدته المنتدى العلماني إلى إعادة بلورة وصقل معرفة الطلاب في التعليم الرسمي العلماني على أسس أن العالم اليهودي مبني على الأرثوذكسية اليهودية المنتشرة في مواقع كثيرة، ومنها: النصوص، الصور والرسوم التوضيحية، والعبارات المألوفة والمقتبسة من المصادر العبرية الدينية ...

ولنوضح الموضوع من خلال عناوين توصلت إليها عملية الفحص أعلاه، فمسألة الرؤيا الوطنية - اليهودية الأرثوذكسية، باعتبارها القوة الوحيدة التي تحرك العالم، مبنية على قصص عجائب ومعجزات لكل من يحافظ على قدسية السبت، وأكثر من ذلك، لكل من يقوم بتأدية مجموعة من الصلوات لرب العالمين. وانتشار مجموعة من العبارات والجمل الدينية في نصوص كتب لتعليم الجغرافيا والعلوم والرياضيات. ومن بين هذه الجمل والعبارات: «نحن مأمورون»، و«علينا أن نسلك هذا الطريق فقط»، و«صلّوا من أجل دولة يهودية». لا شك في أن توجهات كهذه من خلال كليشيهات لغوية تبلور وجود علاقة مباشرة وقوية بين الديانة اليهودية وبين القومية الإسرائيلية. وتعمق العقيدة حتى في كتب تعليم التوراة وتفسيرها، من حيث ربطها بين الديني والقومي دون توفير شرح تاريخي، مثلاً، يساعد الطالب على مناقشة النصوص والحوار بشأنها.

وتبين من الفحص المشار إليه أعلاه، أن كل كتب تدريس اللغة تحتوي على توجهات ومضامين تتعلق بالأعياد والسبت، وذلك من خلال اقتباس نصوص وإحالات من التوراة، وكتب حكماء اليهود القدامى. وفي عدد من الاقتباسات، تضاف نصوص أدبية مستندة إلى خرافات وقصص وحكايات قديمة لتوضح للطلاب أقدمية النصوص والمواضيع. في حين أن ادعاء المنتدى العلماني، أنه بالإمكان الاستعانة بمصادر ونصوص معاصرة تعالج قضايا مطروحة بمنظار آخر بعيداً عن المؤثرات الدينية التي يستنتجها الطالب. والقصد، هنا،

نقل رسائل عقائدية تستولي على أدمغة الطلاب وتؤثر عليهم وعلى سلوكهم.

وبالتوازي مع هذا الادعاء أو الطرح، فإن مخاوف الأهالي وأعضاء المنتدى العلماني من بينهم، أن يكون التعليم بهذه الطريقة المستندة إلى هذا النوع من النصوص موجهاً نحو غطرسة وعلائية في أوساط الطلاب، وبالتالي إلى تعميق العنصرية في رؤيتهم للحياة ودوائر السكان المحيطة بالطلاب، وبخاصة المغايرين لهم في الديانة أو القومية. أضيف إلى ذلك أن مثل هذه الاقتباسات والإحالات لا تُتيح المجال لمساحات من النقاش والحوار والاختلاف والاتفاق.

والأصعب من هذا، وفقاً للفحص الذي قام به المنتدى العلماني للكتب التعليمية، أن توجه اللغة في نصوص الكتب نحو استملاك القيم الإنسانية وكأنها حكرًا على اليهودية دون غيرها من الحضارات والديانات والشعوب الأخرى في العالم. بمعنى آخر، أنه في التعليم الرسمي العلماني المطلوب طرح القيمة الأخلاقية العالمية أولاً، ومن ثم الإشارة إلى وجودها في اليهودية. أي من الماكرو = العالم، إلى الميكرو = اليهودية. في حين أن التوجه في الكتب التعليمية هو عكس ذلك. وبالتالي يتم عرض اليونانيين والفرس والرومان بكونهم أشراراً وسيئين ومنحطين لكونهم لا يملكون القيم اليهودية نفسها.

وتظهر في عدد من كتب تعليم الرياضيات رسومات توضيحية وصور لشباب وفتيات منفصلين عن بعضهم البعض؛ أي الفتيات وحدهن والشباب وحدهم. هذا توجه متزمته يُميز التيارات الدينية. وتم الكشف عن وجود نصوص ورسوم توضيحية نمطية، بحيث يُصور الأب يعمل في قطاعات معينة، في حين أن الأم تقوم بأعمال منزلية.

لا بد من قراءة هذه الكتب بهذه السياقات؛ أي ما بين العلماني والديني من منطلق التأثير الذي تتركه على القارئ، وفي حالتنا الطالب المدرسي.

ومما لا شك فيه أن الكتب تترك أثراً، لكن الأثر الأكبر هو للمعلم. وهذا لا يمكن وضعه تحت تأثير توجيه معين. إذ يمكنه الاستفادة في الشرح واستخدام أي عبارات تؤكد ميوله الدينية مثلاً، أو القومية المتزمته. للمعلم دور بارز في نقل الأفكار بصيغ تتجاوب مع رؤاه السياسية والدينية والاجتماعية، حتى في التعليم الرسمي العلماني. ففي

حالة كون المعلم ذا توجه غير علماني، ويقوم بالعملية التدريسية في التعليم الرسمي العلماني، فمما لا شك فيه أن طريقة استعمال اللغة ستكون مختلفة، وأكثر تطابقاً مع اللغة الدينية الواردة في النصوص الدينية. حتى لو افترضنا أن هذا المعلم يقوم بتعليم الرياضيات.

وفي مراجعتنا لكتاب «مفاتيح لضمان متبادل» للصف الرابع الابتدائي في التعليم الرسمي، وهو مخصص لتدريس الأعياد والمواسم اليهودية والعادات والتقاليد المرافقة لها، تبين أن الكتاب مليء بالآيات التوراتية وأقوال مقتبسة من آباء اليهودية الأوائل. ويتطرق الكتاب، كما وارد في المنهاج، إلى القيم الإنسانية كالاحترام والمسؤولية والكرامة وغيرها. ولكن مع بداية كل فصل هناك اقتباسات من التوراة. هنا يستنتج الطالب، مهما كان مستواه التعليمي أو ذكاؤه، أن هذه القيم مُستقاة من التوراة، أي من القيم اليهودية وليس العالمية كما يريد التعليم الرسمي العلماني.<sup>1</sup>

ويحتوي الكتاب على مجموعة من الصلوات على مدار محور زمني يومي، وهو ما رفضته العلمانية منذ عقود من الزمن. بمعنى آخر، عدم إيراد أي نص لصلوات إلا بسياقات ثقافية وليس تعليمياً دينياً. ولكن هذا الكتاب فيه مناجح تدينية كثيرة، كما يشير إلى ذلك فورمان في مقالته النقدية أعلاه.

وأيضاً يحتوي هذا الكتاب على عبارات ترمز إلى توجهات تدينية مثل: «إن التوراة تنبأت بحدوث المحرقة». ومثال آخر «إن الله قد خلق العالم والطبيعة لأنه، أي الله، خلقهما من أجل الإنسان».<sup>2</sup>

وفي كراسة «تحقيقات حول البلاد» لتعليم الجغرافيا للصف السادس الابتدائي في التعليم الرسمي العلماني، تمّ التطرق إلى أن الأمطار تنهمر في اليوم الثامن من أيام عيد المظال (سوكوت بالعبرية)، واعتاد اليهود على رفع صلاة خاصة هي «صلاة المطر». هذا نموذج واضح وصارخ لإقحام الدين في موضوع الجغرافيا الذي يعتمد على حقائق طبيعية دون

1 رام فورمان، مراجعة كتب «مفاتيح لتضامن متبادل» للصف الرابع، موقع المنتدى العلماني، 2017/9/17. goo.gl/jg2e4F

2 في الكتاب المذكور ص 189، وص 171.

## أي علاقة بالدين.<sup>1</sup>

وفي كتاب آخر لتعليم موضوع علم البيئة للصف الثالث الابتدائي في التعليم الرسمي العلماني، تمّ اقتباس آيات من سفر الأناشيد لسليمان الملك من التوراة بقوله: إن الله أعطى الإنسان العالم الذي خلقه ليعيش فيه، وكلفه بأن يتحمل مسؤولية الحفاظ عليه». هذه العبارة الدينية لا صلة لها بالبيئة التي تدرس علمياً في المدارس. لكن، وبدون أدنى شك، هذا نمط وتوجه التدين في الكتب التعليمية في هذا النوع من المدارس. وهو نفسه قائم في التعليم الرسمي الديني.

أمّا في المرحلة الثانوية، ففي كتاب تعليم الكيمياء للصف الحادي عشر، تمّ وصف تشابه جزئي بين الجزئيات وبين الزواج اليهودي، من خلال هذا المثل: «لما يكون في الغرفة ثلاثة عرائس (هيدروجين) وعريس واحد (زوج إلكترون دون ترابط)، يمكن أن يحدث زواج يهودي حسب الشريعة. في حين أنه عند وجود ثلاثة عرسان (أزواج إلكترون غير مترابطين) وعروس واحدة (هيدروجين)، يمكن أن يحدث زواج واحد. وعندما تكون في الغرفة عروستان (هيدروجين) وعروسان (أزواج إلكترون غير مترابط) يؤلفون عريشتين لعرسين وفقاً للشريعة اليهودية». هذا كاف لفهم استخدام الدين في تشبيه تفاعلات أو حالات كيميائية.

ويشير المنتدى العلماني في فحصه لكتاب «علاقات مساواة في التربية» للصف التاسع في المرحلة الإعدادية، إلى أنّ النصوص الواردة فيه هي دينية بامتياز، إلى جانب نصوص قليلة من الأدب العالمي لألبر كامبي ومارتن لوثر كينغ.

ويزعم أعضاء هذا المنتدى أنّ النقاش الذي يوجهه الكتاب حول قضايا الساعة، يجري التمثيل له من نصوص توراتية أو تفسيرية من التلمود والمشناه، وليس من نصوص آنية ومعاصرة تحاكي الحدث واحتياجات الطلاب.<sup>2</sup>

أمّا كتاب: «سبل الثقافة» للصف السابع الابتدائي في التعليم الرسمي العلماني، فهو بنظر

1 سفي كروبسكي، صلوات في كراسة لتعليم الجغرافيا، موقع كالكاليست، 2017/2/6. [goo.gl/xJM3DL](http://goo.gl/xJM3DL)

2 رام فرومان، مراجعة كتب «علاقات مساواة في التعليم»، موقع المنتدى العلماني، 2017/8/9. [goo.gl/SdjS3n](http://goo.gl/SdjS3n)

المنتدى العلماني، كتاب علماني جيد للتعليم، ما عدا عدد من الصفحات التي تتطرق إلى أحداث ذات صلة بنقاشات دينية وقعت بين تيارين في اليهودية معروفين بهذا المجال، وهما «بيت شمائي» و«بيت هيلل»، وأيضاً ما له صلة بيوم السبت ... قد يكون رضا أعضاء هذا المنتدى عن هذا الكتاب ناجماً من قلة نماذج التدين فيه، أو أنّ هذه النماذج لن تؤثر فكرياً وحياتياً وسلوكياً على الطالب اليهودي العلماني وفق تصورهم. لكن، وعلى الرغم من هذا، فإنّ النماذج هذه تؤكد تغلغل الدين في معظم الكتب التعليمية، أحياناً بجرعات ثقيلة، وأحياناً أخرى بصورة أخف أو أقل.<sup>1</sup>

وفي تدقيقنا في هذا الكتاب، وعلى الرغم من إشارة فرومان إلى ضالة نماذج التدين، وجدنا أنّه، أي الكتاب، يتعمق في عرض خلق العالم بوجهة نظر عقائدية عن طريق عرض نصوص دينية ومقابلها نصوص علمانية لا تبين بوضوح حدود الفصل بينهما.

ويُخصّص الكتاب، أيضاً، فصلاً عن مقتل إسحاق رابين، رئيس حكومة إسرائيل الأسبق في 1995، بتجاهل كون القاتل متديناً قام بتنفيذ فعلته بدوافع دينية متمتة، وفي مقدمتها تلقيه أمراً إلهياً (هذا ما صرح به يغال عمير قاتل رابين في تقديمه لشهادته أمام المحكمة). والقصد بهذا الأمر دفعه من قبل رجال دين ربانيين للقيام بالقتل.

عملياً، إدخال النصوص الدينية بهذا الشكل في كتاب علماني مقصود منه التخفيف من خلفيات القاتل، وتلميح صفحته، وبالتالي تلميح صفحة التيارات الدينية المتزمتة التي أشير إليها بالأصابع بكونها متورطة في مقتل رابين.

من هنا ندرك قوة النص التعليمي في وضع صورة مغايرة للحقيقة التاريخية المتعلقة بالحالة هذه، وهي مقتل رابين. ولأنّ وزارة التعليم خاضعة في السنوات الأخيرة لتيارات حزبية متدينة، فإنّها تقوم بتحوير في النصوص من منطلق إعادة كتابة نص تاريخي أفضل من الواقع والحقيقة، لأنّ في ذلك محو أخطاء ارتكبتها جماعة ما، وحصرها في شخص معين، هو القاتل.

وفي تحولنا إلى نموذج آخر لتعليم المهارات الحياتية، نصادف كتاباً بعنوان «نتعلم لننجح»؛

1 رام فرومان، مراجعة كتب «سبل الثقافة» للصف السابع، موقع المنتدى العلماني، 2017/10/4، goo.gl/PCW6yS

التدين في مناهج وكتب التعليم في إسرائيل

وهو مُخصَّص للصف الثالث الابتدائي في التعليم الرسمي العلماني. يتطرَّق هذا الكتاب، في جوهره، إلى كيف يكون الطالب يهودياً جيداً. وكيف يمكنه أن يحافظ على نفسه، وذلك من خلال إيمانه وتمسكه بالسبت.<sup>1</sup>

وفي موضوع تعليم الحذر على الطرق، يتصدر الكتاب التعليمي لهذا الموضوع «صلاة السفر». ولا يقتصر الأمر عندها، بل هناك فعالية تعليمية حولها يقوم الطالب بالتدرب عليها. وهذا الكتاب مُعدُّ ومصادق عليه من قبل وزارة التعليم في إسرائيل للتعليم الرسمي العلماني.<sup>2</sup>

وكيف تصل ظاهرة التدين إلى درجات مرتفعة في العلوم نراها في أوراق العمل المختبري للصف السادس في موضوع علم الأحياء (البيولوجيا)، حيث أشير «إلى أن الله هو عالم النبات الأول».<sup>3</sup>

ولا تخرج كتب تعليم الموسيقى من دائرة التدين أو تأثير حالات ومظاهر التدين فيها. ففي كتاب للأناشيد والموسيقى نص أغنية لفنان علماني باسم عوزي حيتمان، لكن تفسيراً ورد حول نصّها بالإشارة إلى والد حيتمان بكونه متديناً، وقد اشغل وظيفة مُرثم في الكنيس، وبالتالي بكونه حاملاً لوظيفة دينية، أي الأب، فإنّه حافظ مع أسرته على الشعائر والعقائد الدينية اليهودية. وتمّ تعريف الفنان العلماني بأنه محافظ على بعض العادات والتقاليد.<sup>4</sup>

هنا، يمكن ملاحظة تغليب التدين على نهج الحياة العلماني، واعتباره -أي التدين- حالة أو مشهدية أفضل من العلمانية. وهذا في كتاب أناشيد وموسيقى للتعليم الرسمي العلماني.

وتبنّت وزارة التعليم في إسرائيل مقابل ادّعاءات المنتدى وتيارات علمانية أخرى منهجية إنكار ورفض. ولكن عندما اتسعت دوائر الضغط عن طريق المنتدى ونشر مراجعات

1 كرويسكي، مصدر سابق.

2 المصدر السابق.

3 ينيف مشياح، مصدر سابق.

4 المصدر السابق.



نقدية عن الكتب التعليمية، أعلنت الوزارة عن نيتها القيام بفحص الكتب المصادق عليها من قبل لجنة مختصة بهذا المجال. ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أنّ المنتدى وحده قام بفحص 105 كتب في حقول معرفية متنوعة. وهذا يعني أنّ المنتدى العلماني قد وضع الوزارة في مربع لا يمكنها الخروج منه إلا بتوفير إجابة واضحة، واتخاذ إجراءات لتغيير الكثير من النصوص الدينية، وتحويلها إلى ثقافية.

وقدّمت وزارة التعليم الإسرائيلية تقرير لجنتها الفاحصة للرد على الادعاءات أعلاه. وتبيّن أنّ الوزارة قامت بفحص 27 كتاباً، من أصل الـ 105 التي يدّعي المنتدى العلماني أنّها تحتوي على نصوص وإشارات ودلالات دينية. وتوصّلت الوزارة إلى أنّ الكتب لا تحتوي على تدوين، إمّا احتوى جوابها على أنّ عدداً من هذه الكتب التعليمية التي تُدرّس في نظامي التعليم في إسرائيل<sup>1</sup>: التعليم الرسمي العلماني والتعليم الرسمي الديني، تناسب البيئات الطلابية التي من أجلها وضعت هذه الكتب. في حين أنّ الحقائق التي قدّمها المنتدى العلماني بالاستناد إلى إحصائيات المكتب المركزي للإحصاء في إسرائيل، أنّ 52% من الطلاب في إسرائيل هم في التعليم الرسمي العلماني، في حين أنّ 18% فقط من الطلاب منتسبون للتعليم الرسمي الديني، وهذا ما يدحض ادّعاءات الوزارة.

وفي رد آخر ورد في التقرير أنّ الوزارة لم تجد أي خلل أو خروقات في النصوص في عدد من الكتب التعليمية، لأنّها، أي النصوص، تتناسب مع منهج التعليم المصادق عليه. لكننا نعلم أنّ هناك فرقاً كبيراً بين المنهاج وبين النصوص التعليمية التي من المفروض أن تتناسب مع المنهاج روحاً ونصّاً. لكن في النصوص الأدبية والتاريخ والجغرافيا يمكن لوضعها أن يُطوعها لخدمة غاياته الفكرية أو الدينية أو السياسية. وفي حالتنا هذه، فإنّ النصوص والدلالات والإشارات الدينية كثيرة جدّاً، وموزعة على عدد كبير من الكتب التعليمية، وعلى المراحل التعليمية المختلفة، حتى تخترق تفكير الطالب وحياته في كل موضوع تعليمي، وفي كل مرحلة عمرية.<sup>2</sup>

بمعنى آخر، أنّه على الرغم من مراجعات الكتب التعليمية التي قام بها المنتدى العلماني

1 تقرير وزارة التعليم في إسرائيل بخصوص الكتب التعليمية، موقع المنتدى العلماني، 2017/11/12. [goo.gl/3Vtui3](http://goo.gl/3Vtui3)

2 يرون تسور وأور كشتي، 2017/10/31. [goo.gl/tdfzH4](http://goo.gl/tdfzH4)

وغيره من الأطراف المعنية، فإنّ الوزارة لا تزال متعنتة بالنسبة للنصوص والإشارات الدينية في هذه الكتب، ولا تبدي استعدادها للتغيير أو التعديل إلاّ في أمور طفيفة للغاية.

لهذا، فإنّ هذا الميدان أو الحقل سيبقى مفتوحاً لمزيد من الصراعات والأزمات والتحديات بين التيارات الاجتماعية والفكرية والعقائدية والسياسية في المجتمع الإسرائيلي، ومن المؤكد بل الثابت أنّه مع اقتراب موعد الانتخابات البرلمانية للكنيست الإسرائيلي، فإنّ مثل هذه القضايا ستُطرح على جدول مشاريع وبيانات الأحزاب كجزء من خطة المكاسب السياسية والانتخابية.



## خلاصة وتوصيات

لا بُدَّ من استخلاص عدد من التوصيات المرتكزة على هذه الدراسة لفائدة الباحث والقارئ وصانع القرار الفلسطيني وواضعي مناهج التعليم والكتب التدريسية في فلسطين:

- على الفلسطيني معرفة وفهم وتذويت جنوح المجتمع الإسرائيلي إلى اليمين، أولاً على أنه ليس طارئاً، بل يتم العمل عليه في المناهج التعليميّة؛ ما ينذر بمستقبل سيكون فيه المزيد من الجنوح الديني المتزمت، الأمر الذي يخلق ضرورة إلى إعادة النظر في قراءة المشهد الإسرائيلي من خلال جهاز التربية والتعليم الذي يعد الذراع الأول لرسم ملامح المجتمع مستقبلاً عبر رسم ملامح الشباب والأطفال فيه.
- أهمية المبادرة الفلسطينية إلى إعادة النظر في مناهج وكتب التعليم في مواضيع مختلفة لتكون معززة للحقوق الفلسطينية في فلسطين، وخصوصاً الحق في الأرض. وهذا يتعزز عن طريق مشاريع تعليم وتثقيف مؤسسية تستند إلى مشروع سياسي فلسطيني في مواجهة مستمرة مع الاستيطان.
- إعادة بناء منظومة التعليم الفلسطينية بحيث تركز جهودها على تثبيت الحق التاريخي في الأرض، وتعزيز علاقة الفلسطيني بتاريخه المكاني - الجغرافي، من خلال النصوص الأدبية والتاريخية والجغرافية وسواها.
- السعي من أجل إدخال تعديلات وإضافات مستمرة على المناهج والكتب التعليمية، آخذين بعين الاعتبار الجديد في طرائق التعليم وأساليب التدريس.

- إسقاطات المشهدة المتدينة في إسرائيل على المشروع الاستيطاني، وخصوصاً في الضفة الغربية ككل، وتأثيرها القوي على أي خطوات تفاوضية في الحاضر والمستقبل؛ تستدعي إعادة نظر فلسطينية معمقة بتوجهات المشروع الاستيطاني إلى رفض الانسحاب من أي قطعة أرض احتلتها إسرائيل، خاصة أن الدين اليهودي والشرعية التوراتية هي الإطار الأيديولوجي والفكري المعبى للمشروع الاستيطاني في الضفة الغربية، ورؤاها هم ذاتهم رؤاد الاستيطان اليهودي في الضفة.
- السلفية الدينية اليهودية المعززة من خلال تغلغلها العميق في أروقة جهاز التعليم في إسرائيل لا تقل خطورة عن أي سلفية دينية في المنطقة وفي العالم. ويجب التعامل معها بالتساوي. بمعنى آخر، على الفلسطيني أن يكون حاضراً لمواجهة هذه السلفية الدينية - السياسية من خلال وحدة الصف، وإعادة ترميم البيت الفلسطيني من جديد، وتوحيد الجهود محلياً وعالمياً لكشف خطورة هذه السلفية على فلسطين والعالم.
- مواجهة الادعاءات الإسرائيلية بأن المناهج الفلسطينية هي تحريضية وضد إسرائيل، وذلك من خلال متابعة مستمرة للكتب التعليمية المصادق عليها من قبل وزارة التعليم الفلسطينية، وكشف الحقيقة التحريضية في الكتب التعليمية الإسرائيلية، واللجوء إلى استخدام أدوات مقارنة لتبيان الحقيقة والواقع.



المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات  
The Palestinian Center For Policy Research and Strategic Studies - MASARAT

## جونى منصور

مؤرخ وباحث فلسطينى مقيم فى حيفا. مختص بتاريخ الشرق الأوسط الحديث والمعاصر، والصراع الإسرائيلى - العربى/الفلسطينى. له العديد من الإصدارات فى مجاله، منها: "الاستيطان الإسرائيلى"، "الخط الحديدي الحجازي"، "إسرائيل الأخرى، نظرة من الداخل"، "مسافة بين دولتين"، "معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية"، "مئوية تصريح بلفور".



المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات  
The Palestinian Center For Policy Research and Strategic Studies - MASARAT

المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات

[www.masarat.ps](http://www.masarat.ps)